نماذج نثرية لأبي المحاسن الكربلائي
عرض ، ودراسة

أ.م.د عبود جودي الحلي أ.م.د محمد عبد الحسين الخطيب
كلية التربية – قسم اللغة العربية/جامعة كربلاء

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله الطاهرين وصحبه الطيبين ، وبعد ؛

فإن ما ضاع من التراث الأدبي والعلمي العربي كثير ، وإذا ما تصفحنا كتب الفهارس التي تزخر بها المكتبة العربية ، فإننا سنجد أنَّ ما نشر من هذا التراث إنْ هو إلا نماذج أتى الزمن على غيرها ، لهذا يجتهد الباحثون بالتنقيب في زوايا المكتبات ، وبطون الكتب للاستدراك والإضافة إلى ذلك التراث الثرّ . ويلاحظ على التراث النثري الأدبي العربي أن نصوصه نادرة قياساً بما وصل إلينا من تراث شعري لأسباب عدَّة منها أنَّ العرب أمة ألجأتها طبيعة حياتها إلى اعتماد الذاكرة في حفظ مآثرها ، والذاكرة أقدر على حفظ الشعر منها على حفظ النثر ، وأن الأدباء العرب – قديماً وحديثاً – وجدوا أن الشعر – ولاسيما الجيد منه – فن لا يتمكن منه كل أحد ، خلافا للنثر الذي يستطيعه كثير من الناس ، لذا فهم يهتمون بتدوين ما ينظمون أكثر من اهتمامهم بما ينثرون ، وهكذا هو حال الناشرين ، فإن ناشر ديوان أبي المحاسن الكربلائي أغفل عدداً من نصوصه النثرية ، التي وجد الباحثان فيها من الأهمية ما لم يجده الناشر الأديب المرحوم محمد علي اليعقوبي (١٨٩٤ – ١٩٦٥ م) وذلك لأسباب منها : أن منشئها كان من أدباء الموقف ، إذ عبَّر نتاجه الأدبي عن انحياز للوطن والأمة واهتمام بمستقبلهما ، وكان من رجال ثورة العشرين وتعرض بسبب مواقفه للمضايقة والاعتقال ، وكان في الرعيل الأول من رجال دولة العراق الحديث ، حين أضحى وزيراً للمعارف في الوزارة العسكرية الأولى سنة ١٩٢٣ م ، ومن أسباب اهتمامنا بهذه النصوص النثرية ؛ أنها أنشئت في حقبة زمنية بالغة الأهمية من النواحي السياسية والاجتماعية والثقافية ، فقد شهدت تلك الحقبة احتضار الدولة العثمانية وانهيارها بعد ذلك ، إذ لم تنفع تميمة الدستور وما رافقه من انفتاح على العالم وحرية في إصدار الصحف على إعادة الشباب إلى تلك الدولة المترامية الأطراف والمتعددة الأجناس ... ثم إن موضوعات تلك النصوص كانت متنوعة ذات طابع سياسي واجتماعي وثقافي ... ولهذا رأينا نفعاً كبيراً في إخراجها وتسليط الضوء عليها . وقد واجهتنا جملة مشكلات في عملنا ، لعلَّ من أهمها أننا وجدنا تلك النصوص تنتمي إلى حقبة زمنية واحدة وهي الحقبة التي أعقبت الانقلاب الدستوري العثماني سنة ١٩٠٨ م ، على الرغم من أن منشئها عاش الحقبة التي سبقتها والحقبة التي أعقبتها ، إلا أننا لم نجد نصاً واحداً نثرياً ينتمي إلى حقبة ما بعد انهيار الدولة العثمانية .. والاحتلال البريطاني .. وقيام الدولة العراقية الحديثة ... ثم إن الدفتر الذي نقلنا منه النصوص كتب على عجالة ، إذ إن ناسخه الأديب المرحوم حسن عبد الأمير المهدي (١٩٢٠ – ٢٠٠١ م) استعار النسخة المخطوطة الأصلية من مالكها المرحوم الأديب محمد علي اليعقوبي ونسخها – بأجمعها – في ليلة واحدة بتاريخ ١٩ / ٣ / ١٩٤٩ م ، - كما صرَّح لنا بنفسه سنة ١٩٩٤ م – فبسبب تلك العجالة ، وبسبب فعل الزمن في أوراق ذلك الدفتر كثر الطمس والتصحيف والتحريف ... عندها اجتهدنا في إقامة النصوص ، ونأمل أن نكون قد استطعنا التغلب على تلك المشكلة ... ولم نسمِّ عملنا تحقيقاً لأننا لم نعثر على النصوص النثرية في مصدر آخر – سواء أكان مخطوطاً أم مطبوعاً – وعسى أن نعثر على أصل آخر لديوان أبي المحاسن فنخرجه محققاً بكامله إن شاء الله تعالى .

وقد وقع عملنا المتواضع هذا في ثلاثة مباحث أولها في التعريف بأبي المحاسن ومنزلته الأدبية وبيان قيمة نصوصه النثرية ، ثم عرضنا النصوص النثرية السبعة مجتهدين في إخراجها إخراجاً سليماً كما كتبها منشئها ، ثم تلا النصوص مبحث في موضوعاتها ، وتسليط الضوء على ما رافق إنشاءها من حوادث سياسية أواجتماعية أو غير ذلك ، ثمَّ عقدنا المبحث الأخير لبحث موجز في السمات الفنية والأسلوبية لنصوص أبي المحاسن النثرية ، وختمنا البحث بعرض مختصر لأهم النتائج التي توصلنا إليها ، وقد اغترفنا مادة بحثنا من عدد كبير من المصادر والمراجع اللغوية والأدبية والتاريخية ، أعانتنا على رسم صورة نأمل أن تكون وافية للأديب المجاهد ونصوصه النثرية ، فإن كان الأمر كذلك فهو بتسديد وعون من الله – سبحانه – وإن كانت الأخرى فلا نبرئ أنفسنا من الخطأ والاشتباه وأي جواد لا يكبو وأي حسام لا ينبو ، وحسبنا أننا حاولنا خدمة هذه الأمة الكريمة ، ورجالها المخلصين المجاهدين ، والحمد لله رب العالمين .

الباحثان

المبحث الأول :

أولاً : في التعريف بأبي المحاسن ، ومنزلته الأدبية ، وبيان قيمة نصوصه النثرية :

يعد الأديب المرحوم الشيخ محمد حسن أبو المحاسن الكربلائي (١٨٧٦ – ١٩٢٦ م)[١] من كبار الشخصيات في العراق الحديث ، إذ إنه كان من رجال ثورة العشرين الوطنية الخالدة[٢] ، وصار وزيراً للمعارف في الوزارة العسكرية الأولى سنة ١٩٢٣م[٣] ، وتسليط الضوء على نتاجه الأدبي يكشف عن جانب كبير من آمال جماهير الشعب وآلامها ، لأن الأديب كان لسان حال شعبه ، والمعبر عن طموحاته في وقت لم تكن فيه وسائل الاتصال متاحة كما هي عليه الآن ، وإذا ما عرفت بعض الصحف في تلك الحقبة ، فإن أثرها في المجتمع لم يكن ظاهراً ملموساً ، لأنَّ من يجيد القراءة كان قليلاً . لقد كان أبو المحاسن عالماً فقيهاً ، مع ما عرف عن موهبته الأدبية ، على الرغم من عدم معرفتنا – على وجه التحديد – تفاصيل دراسته ومقدار علمه ، لأن مؤرخي الأدب والثقافة لم يولوا هذه الناحية اهتمامهم ، إذ إن التطورات السياسية السريعة والكبيرة كانت تستحوذ على اهتمام المؤرخين ، لذا كان اهتمامهم بشخصية الأديب محمد حسن أبي المحاسن أقل بكثير مما يستحقه أمثاله من العلماء العاملين والأدباء المجاهدين ، فعندما توفاه الله «لم يحدث خبر موته ضجَّة في الصحف ، ولم تنظم القصائد ، ولم تكتب المقالات في تأبينه وبيان ما له من المنزلة الأدبية السامية »[٤] ، والإشادة بدوره الجهادي في بناء الدولة العراقية الحديثة ، ولعلَّ من أسباب ذلك ما أحسَّ به الأديب المجاهد من ضياع جهده وسعي المجاهدين معه ، إذ لم ينبلج عن ثورتهم صبح دولة مستقلة تحقق للعراقيين عيشاً حراً كريماً ، فآثر العزلة والانسحاب من ميدان الصراع على المناصب والمكاسب الشخصية ، والابتعاد عن الأضواء . لقد أدرك أبو المحاسن أنه يحيا في زمن الاضطرابات والفتن الذي « لا ينجو فيه إلا كل مؤمن نومة إن شهد لم يعرف ، وإن غاب لم يفتقد »[٥] ، لقد عاش أبو المحاسن - بعد اعتزاله العمل السياسي بعيداً - عن مؤسسات الدولة والمجتمع ، حتى إنه كان وحيداً في الطريق إلى قريته (جناجة) عندما وافاه الأجل فوجد « ميتاً وإلى جنبه حاجياته التي كان يحملها»[٦] ، وكان ذلك في يوم الخميس ١٣ ذي الحجة سنة ١٣٤٤ هـ . وعلى الرغم من عدم معرفتنا بكثير من جوانب حياته الدراسية والعلمية ، إلا إن نتاجه الأدبي يدل على « سعة معرفته واطلاعه وتضلعه في مختلف العلوم »[٧] ، فقد « درس العلوم الشرعية على الشيخ كاظم الهر[٨] ، والسيد عبد الوهاب الوهاب [٩] وتعلم الشعر في المجالس الأدبية »[١٠] ، ويبدو أنه ارتقى منزلة علمية رفيعة ، وبلغ في علم الفقه وغيره من العلوم الدينية مستوى عالياً جعلت علماء الدين الأفاضل يختارونه لتمثيلهم في (المجلس الملي) ، الذي « كان أعضاؤه من سادات كربلاء ، ومن رؤساء القبائل فيها ، وكانت مهمته الإشراف على إدارة البلدة من حيث جباية الضرائب وتعيين الحراس ، وتأمين الطرق »[١١] ، وذلك في أثناء نشوب ثورة العشرين ، وانتدبه الأب الروحي لثورة العشرين العلامة الشيخ محمد تقي الحائري [١٢] « ممثلاً عن علماء كربلاء للتفاوض مع السلطة المحتلة »[١٣] ، ولولا تضلعه في العلوم الشرعية لما اختاره علماء الدين ممثلاً عنهم ... وهناك ما يدل على عدم اقتصاره على تلك العلوم ، « بل كان له إلمام بالتاريخ والجغرافية وغيرهما من العلوم المتداولة في تلك الفترة »[١٤] ، وفي ديوان الشاعر « إشارات علمية ومناقشات فلسفية تدل مع وجازتها على توجه وتضلع واطلاع على علوم عصره »[١٥] ، وكان له باع واسع في الأدب العربي فقد كان يحتفظ بخزانة فيها كثير من كتب الأدب العربي وكان مولعاً بقراءتها لا يكاد يسافر إلا ومعه بعضها ، « حرصاً عليها من الضياع والتلف »[١٦] ، وعدم إضاعة الوقت بغير الاستزادة من المعرفة والاطلاع على ما في تلك الكتب من معلومات ونتاجات أدبية . وعليه فإنَّ الأديب الشيخ محمد حسن أبا المحاسن كان ذا ثقافة موسوعية أهلته لتسنّم منصب وزير المعارف[١٧] ، ومما يزيد في أهميَّة نتاجه الأدبي أنه يعد في الأدباء الذين عاشوا « في مناطق الثورة أو قرب خطوط النار »[١٨] يوم كانت مدينة كربلاء المقدسة مركزاً مهماً من مراكز ثورة العشرين ، وفي حقبة زمنية بالغة التعقيد يوم انهارت الدولة العثمانية وهيمنت الدول الغربية على المنطقة ، وثار الشعب العربي المسلم رافضاً هذه الهيمنة ، فولدت من رحم الثورة الدولة العراقية الحديثة . وقد اطلع الباحثان على نسخة مخطوطة من ديوان الأديب الشاعر محمد حسن أبي المحاسن أشرنا إليها في بحثنا الموسوم بـ (أوراق ضائعة من ديوان أبي المحاسن)[١٩] – ولعلها النسخة المخطوطة الوحيدة الباقية من ديوانه – بعد تلف النسخة التي كانت تحتفظ بها أسرة الشاعر[٢٠] ، ووجدنا في هذه النسخة شعراً لم نجده في ديوانه المطبوع بطبعتيه الأولى والثانية[٢١] ، فدرسناه في بحثنا المشار إليه آنفاً ، ووجدنا فيها – كذلك – نماذج نثرية آثرنا إخراجها وتسليط الضوء عليهاوللنثر العربي أهمية تاريخية وفنية لأسباب عدة منها أن الأديب يجد في النثر متسعاً للتعبير عن آرائه من دون أن تكبله قيود الشعر من وزن وقافية ، لذا فإنَّ ما تكلمت به العرب من نثر أكثر مما نظمت من شعر[٢٢] ، وعلى ذلك فإنَّ النثر أصدق من الشعر في التعبير عن وجهة نظر الأدباء الذين يفصحون عن وجهات نظر مجتمعاتهم . وكان المجتمع العربي منذ زمن الجاهلية يقدم الشاعر على الخطيب[٢٣] ، لأنَّ أغلب الناس – إن لم نقل كلهم – يستطيعون التعبير عن آرائهم نثراً ، وعدد من يجيد الخطابة أكثر من عدد من يستطيع نظم الشعر ، لهذا السبب اهتم الأدباء بتدوين ما ينظمون من شعر وحفظه أكثر من اهتمامهم بحفظ نتاجهم النثري وتدوينه ، وينشغل الرواة برواية الشعر أكثر من انشغالهم برواية النثر ، زد على ذلك طبيعة الحياة العربية التي جعلت العرب يعتمدون الذاكرة في حفظ مآثرهم ، والذاكرة أقدر على حفظ الشعر منها على حفظ النثر ، لهذا السبب « لم يحفظ من المنثور عشره ، ولا ضاع من الموزون عشره »[٢٤] ، ولولا رواية النبي الكريم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) لخطبة قس بن ساعدة الإيادي [٢٥] لما احتفل الرواة والمؤرخون

بروايتها كثيراً ، ولا نحسب أديباً آتاه الله – سبحانه – موهبة نظم الشعر وهو يعجز عن الخطابة ، وإن أغلب الشعراء – إن لم نقل كلهم – كانوا خطباء مع موهبتهم الشعرية ، وقليل من هؤلاء الأدباء من يحتفظ بنتاجه النثري – أو يدونه – ولاسيما الخطب ، لأنها غالباً ما تكون وليدة مناسبات معينة تقل أهميتها بانتهاء مناسباتها ، فالمعروف عن بشار بن برد – مثلاً – أنه كان شاعراً ، ولا نعرف عن نتاجه النثري شيئاً ، مع إنه كان « يعد في الخطباء والبلغاء »[٢٦] ، لذا فإن العثور على نصوص نثرية وتيسير الإفادة منها عن طريق تمكين الباحثين من الاطلاع عليها أمر – نراه – كثير النفع تأريخياً وأدبياً .

ثانياً : (النصوص)

(١)

« العيد الملي[٢٧]

دعا حضرة جمال بيك[٢٨] ، والي بغداد ، أمراء ، ومشايخ العرب ، لحضور الاحتفال في العيد الملّي – ١٠ تموز –[٢٩] فكان لاجتماعهم بالعدة ، والعدد ، والخيل ، والسلاح – الموزر- [٣٠] منظر أنيق ، ومرآى فائق ، وقد مضى المعسكر – الأردكاه –[٣١] بالخيام ، وبيوت الشعر ، وفي كل يوم : صباحه ، وعصره يقف الوالي المشار إليه ، فتعرض الشيوخ ، والأمراء ، ولألويتها خفوق ، ولأسنَّة قناها لمعان وشروق ، وتكاملوا يوم العاشر زهاء خمسة آلاف فارس – المدعوّين خاصَّة – ما عدا الخيل ، والرجال ، والأعيان ، والأشراف ، من البغداديين ، وغيرهم ، وقد دعا الوالي أهالي كربلاء لحضور الاحتفال ، وكنت فيمن مضى ، وحضر المعرض ، ويوم التاسع كانت دعوة الاتحاديين لمشايخ العرب ، فحضروا في – القلوب – زهاء (٥٠٠) رئيس قبيلة ، فألقيت الخطب الرنَّانة ، الداعية إلى الألفة ، والتعاضد ، واجتماع الكلمة ، فكان يناسب كثيراً أن يجيب المشايخ جواباً ، يعلن إخلاصهم ، وطاعتهم للحكومة ، فنبت عنهم بالجواب بهذه الخطبة الآتية ، وهي – كما ترى – تشعر بانقياد العرب واجتماع كلمتهم على نصرة الإسلام ، مع كمال الشهامة والاحتشام ، وقد نشرتها الجرائد المحلية ، ومنها (الرياض)[٣٢] ، تحت عنوان (خطبة أمراء العرب) ، كما نشرت قصيدتي التي تليت أيضاً في نادي – القلوب – في ذلك المحفل العظيم ، الغاص من الحكومة ، والأشراف ، وأمراء العرب ، فأخذت الأريحية – وهم أهلها – المشايخ ، والأمراء ، وهزتهم الحفيظة ، وهاجهم الحماس العربي ، فقاموا جميعاً ، وجرّدوا سيوفهم المشرفيَّة ، زهاء خمسمائة سيف لخمسمائة شيخ ، وهم يهزّون الصوارم ، والقصيدة تتلى عليهم ، ولم يتفق لقصيدة كهذه تتلى في مجمع ، ومحفل ، والسيوف مسلولة بالأيدي ، والجميع وقوف ، وكان منظراً يبهج الإسلام وأهله ، ويكمد العدو ، والقصيدة هي الآتية ، تحت عنوان (نفحة التهاني)[٣٣] .

خطبة أمراء العرب في نادي الاتحاد

{ أيها الأماجد الأماثل ، والأعيان الأفاضل ، الذين جمعنا وإياهم في (القلوب) صفاء القلوب ، والاتحاد / الدين / الوطن ، أصبح بنعمة الله منهله صافياً لا يشوبه كدر . نعرض على هذا المحفل الشريف بصفة أننا رؤساء ، ومشايخ العرب ، إنا لا نستطيع أن نصف سرورنا ، وارتياحنا ، بالعيد الملّي ، الذي انجلى بضياء سعده ظلام الدور النحس البائد ، يوم أدركت به الملّة مناها ، ونالت آمالها ، وشيَّدت مجدها وعلاها ، واستنقذت حقوقنا المغصوبة ، بحدود المرهفات ، والعزائم الماضيات ، فهو حقيق بكل مسرَّة ، وبهجة ، بالتعظيم ، والاحتفال ، والتهاني ، والتبريكات ، فنحن نبارك لكم ، ونهنيكم في هذا العيد ، الذي هو أول عيد ملّي ، شهدته أمراء العرب ومشايخها ، وبما شاهدنا من ألطاف الحكومة السنيَّة وحسن رعايتها ، تأكد لدينا أن الدولة العليَّة – خلَّد الله أيامها الزاهرة – ساعية جاهدة لتأليف العناصر الإسلامية ، سيَّما العرب الذين هم أعظم مقوم لدولة الخلافة ، إن الدور البائد أساء إلى هذا العنصر الشريف ، ومزَّق شمله ، وعبث بحقوقه ، ولم يزل لاهياً بشهواته عن تأليف القلوب ، حتى جاءنا الدور السعيد ، الممثل للعدل والإحسان ، فبثَّ روح الحياة والشعور والحسّيات الذاكية ، ونبه العواطف الإسلامية ، فأصبحت قلوبنا متفقة ، وضمائرنا مستوسقة ، وكلمتنا جامعة ، فها نحن إخوان صدق ، على سرر متقابلين ، مطيعين لأولي الأمر ، رايتنا الهلال العثماني المنير ، ومطمح أنظارنا عرش الخلافة الإسلامية ، نبذل النفوس والنفائس في نصرتها ، وتشييد مبانيها ، بالسيوف التي عرفت مواقعها ، وشهد التاريخ أنها هي التي ثلمت عروش الدول العظمى ، ونشرت على البسيطة لواء الدين الإسلامي ، نحن نسل أولئك الأبطال ، والقروم المصاعب ، والأسود البواسل ، فأنعمي أيتها الدولة عيناً بالنصر والمعاضدة على كل عدو يبغي لك الغوائل ، نحن حاضرون بالعدة والعدد ، والقوة الباهرة ، نتوجه لأدنى إشارة ، أينما توجهنا الحكومة ، نحن سيوفها التي لا تغمد إلا في رقاب أعدائها ، وسهامها النافذة في قلب كل من يناوئها ، نريق آخر قطرة من دمائنا في سبيل الدفاع عن حمى الإسلام ، والوطن ، ونعد يوماً ندعى فيه إلى النهوض ، يوم سعادة وسرور .

إنَّ الإسلام أصبح اليوم في خطر عظيم ، من الأجانب الطامعين ، وقد أخذت تنتفض أطراف بلادنا وأوطاننا ، ولا نحيط وصفاً ببيان استيائنا العظيم ؛ من عداء إيطاليا ؛ تلك الدولة الظالمة ، المتجاوزة على طرابلس الغرب ، وما حلَّ بإخواننا العرب من ذلك الشعب الباقي ، على أننا نفتخر بما أبداه إخواننا في طرابلس الغرب ، من الحميَّة ، والحفاظ ، والبسالة ، والشجاعة ، التي مثَّلت الأمة العربية ، وذكَّرت بأيامهم السالفة ، ووقائعهم الماضية ، حتى علم العدو ، بأن في

عرين الأشبال تلك الأسود ، تذود ، وتحمي عنه ، .... نخاطب الدولة العليَّة بلسان واحد ، وقلب مثله ، أن نقف إزاء كل دولة تناويها ، بعزم ثابت ، وجنان منيع ، ونحافظ على كيانها ، ونرفض كل صلح يمس شرف الإسلام ، ونعتمد كل الاعتماد ، ونثق كمال الوثوق ، بأنا أمة عربية عثمانية ، مطيعة لها ، منقادة لأمرها ، نجود ونحن أهل الجود حقاً بالنفوس ، والأموال } .

وختمت الخطبة بقول أبي فراس : [من الوافر]

دعانا والأسنة مشرعات فكنا عند دعوته الجوابـــا
أسنّته إذا لاقى طعانـاً صوارمه إذا لاقى ضرابا }»[٣٤]

(٢)

« وله مكاتباً حضرة السيد محمد علي هبة الدين[٣٥] ، صالحب مجلة (العلم) [٣٦] ، في النجف ، وقد اشتمل الكتاب على أسماء المجلات والجرائد على سبيل التوجيه :

{ الفاضل النبيه حضرة العلاّمة السيد محمد علي هبة الدين ، دامت شمس (إقباله) مشرقة ، و (رياض) فضله بسحائب (العلم) و (العرفان) مونقة ، وبعد ؛ فقد سعد (الوطن) ، وفاز (بحقيقة) المعارف لا المجاز ، وهي مجلة العلم المتحدة (بكلمة الحق) ، اتحاد الروح مع الجسم ، فتلقت (الأمة) روائع تلك (الزهور) ، بالارتياح والسرور ، فأهلاً بطلعة الحبيب الذي نشر محاسنه (الرقيب) ، يدعو إلى (التعاون) على اقتنائها ، دعاءً يجيبه (صدى بابل) بمدحها ، وإطرائها ، ولعمر منتشيها الفاضل ، إنها لجديرة بتقريض[٣٧] كل أديب كامل ، فمن (العدل) نفي العديل ، والشبه ، والمثيل ، طلعت طلوع البدر ، ولا أقول (الهلال) ، فلم نشم منها وميض (البرق) ، حتى أزهرت (روضة) الكمال ، فليفخر العراقي بنشر فصاحة (العرب) وجوامع الكلم ، ونواصع الخطب ، وله البشرى بالرقي إلى معارج العلا[٣٨] ، والشرف ، فقد أضاء (منار) الهدى ، و (الإرشاد) من أفق النجف } [٣٩] ، ثمَّ أعقب هذه القطعة النثرية ببيتين { مجلَّة بالعلم موسومة } [٤٠] ، ثمَّ أرَّخ المجلة بقوله : { مجلة العلم تجلت شمسها }[٤١] » .

(٣)

« وله في المداعبة ، والمفاكهة ، يجيب صديقاً ، كتب إليه يشكو هوى مليح تعشَّقَه ، وهو :

{ إلى الشاب العفيف ، الأديب الظريف ، والكئيب اللهيف ، المستهام بالقوام ، الأهيف الرهيف ، من رمته سهام العيون ، فأصمت فؤاده ، وتيمته الخدود فأطالت لوعته وسهاده : [من الطويل]

[رمته الحسان الغيد بالحدق النجل فلم تخطئ الأحشاء نافذة النبـــل
قتيل هوىً عند اللواحظ ذحلـه ومن يطلب ألألحاظ بالثأر والذحل ؟!!
يؤمِّل وصلاً بعد صدٍّ وهجـرة فمن لمشوقٍ أن يساعف بالوصل ؟!!][٤٢]

أيها الصب العاشق ، والمشوق إلى لقاء المشانق ، رب قلبٍ أسرته الملاح ، وربَّ دمٍ أراقته الجفون السود بالبيض الصفاح ، وكم رمي بنبال الطرف ، ورد[٤٣] موارد الردى ومناهل الحتف ، وطعين بالسمر العواسل ، وهي الأعطاف الموائر[٤٤] الموائل[٤٥] ، وربَّ ساهر ليله أسال من الدمع في وادي الخد الأسيل .... [٤٦] ، ومهجور يصلى هجر الجوى ، ويقاسي ألم الأسى :

[من البسيط]

[ولست أول صب مغرم كلف قد بات يرعى نجوم الليل في لهف
رمته ألحاظ من يهوى فقال له : رفقاً ، أما لك غير القلب من هدف]

هذه شيم العشاق الهائمين بالخدود والأحداق ، فإنهم يستعذبون العذاب ، ويستحلون مر جفاء الأحباب ، قال الصابي :

[من الخفيف]

[لست أشكو هواه يا من هواه كل يوم يروعني منه خطب
مُرٌّ ما مرَّ بي لأجلك يحلـو وعذابي في مثل حبك عذبُ][٤٧]

ولقد شكوت إليَّ ، فأدركتني الرقة ، ورثيت لحالك ، على أن طرفك جن ، والحبيب تجنّى :

[من الطويل]

[وهل هو إلا الحب طرفك جانيه وقلبك يا حلف الغرام مقاسيـــه
فأصبحت نشواناً بكأس صبابة سقيت الهوى هوناً و (عبود) ساقيه
فيا راجياً وصل الحبيب وقربه ستلقى بحسن الصبر ما أنت راجيه]

نعم ، إنَّ حبيبك (عبود) ، ذا القوام الأملود ، فكم أراق من دم ، ولم يعطف على حبيب مغرم ،

[من الوافر]

[رشيق القد ممشوق التثنـــي يرنّح إن مشى أعطاف غصن]

ذاك الذي تغنَّت بحسنه الركبان ، وأضحى مثلاً للملاحة في كل مكان ، ومن المتيَّمين بهواه : من كتبت إليه تستعينه على من رمته بأنفذ مما رمتك به جفونه ، فكنت في ذلك – على التحقيق – كالمبتل يشكو إلى الغريق ، وقد سألتني عتابه ، كي يلين عطفه ، ويرد إليك طرفه ، فوجدت ذلك لا يتم دون الكربلائي حسين ، فإنه جدير بإصلاح ذات البين ، لرفقه ، ولطافة مسلكه ، فقد تعوَّد أن يروض الصعاب ، ويجمع بين الأحباب ، فاستصحبه إلى الحبيب ، وأنا أسأل الله تيسير العسير، فلما حضرنا لديه ، وعرضنا القلوب لأسياف عينيه ، بدأناه بالكلام لى نهج أهل الغرام ، فقلنا يا مليح الشمائل ويا حلو المعاني ، ما بال أجفانك القواتل ، لا ترق على الدنف العاني ، وما لصريع هواك ، يشكو صدك وجفاك ، أيحسن بك يا حسن الوجه ، أن تقبح فعالك ؟! أم يجمل بك يا رقيق الخد ، أن تقسو على من تيَّمه جمالك ؟!! أتبخل بورد خدَّيك ؟!! وورد شفتيك ؟!! على من جاد بمهجته في سبيل الغرام ، فبالله عليك !! إلا مننت عليه بالوصل ، فإنَّه لم يبقَ إلا نفس خافت ! ومقلة إنسان باهت !

[من الكامل]

[لم يبق منه هواك غير حشاشة فارحم معنى في الغرام معذبا]

فلما سمع القول ، أعرض عنا ! وتاه ! واحمرَّت من الخجل وجنتاه ! وقال : لقد تعللتما بالمحال ! وأسرفتما بالمقال! هيهات أن يحظى في هواي بنيل لقاء ،

[من مجزوء الرجز]

[بلى بلى أجل أجل دون اللقاء ورد الأجل
كم عاشق قد شفّه عشق جمالي فقتل
خدي أسيل ، وقوا مي دونه سمر الأسل
يرجو نجاة بعدما أرْدَتْهُ أسياف المقل
وصل الملاح لاينا ل بالخداع ، والحيل]

فلما رأيت وصله قد تعذَّر ، قلبت المجن ، وناظرته بأحسن فن ، وقلت : يا كربلائي ! قال : لبيك ، مرْني ، فإني طوع يديك ! ، قلت : إن هذا المليح صعب المراس ، فهل لك أن تعمل بطريقة أبي نواس ! قال : أصبت فما أصنع ؟ ، قلت أمسكه لي ساعة ، كي [أنقله][٤٨] بعد العصيان إلى الطاعة ، فما كان إلا قليل ، حتى لينت عريكته ، وذللت صعوبته ، فأسمح واسترسل ، وأرشفني من ثغره السلسبيل ، وأباح لي الخفيف والثقيل ، فلك البشرى أيها العاشق ، فقد رضت الشموس ، ومهدت الطريق ، فتبدلت باللين قسوته ، وبالأنس وحشته والفضل في ذلك للكربلائي ، فلولاه لم ينجح السعي ، فله عليك يد يجب شكرها } » .

(٤)

« شكر من أحسن فعلاً ، حسن

إن أولى النفائس بالطلب ، وأحقها بتنافس أهل الأدب ، وأحبها على الندب ، الكريم ، التابع شرعة المجد ، السالك سنن الثناء والحمد : القلم الذي هو نور علم ، والذي جرى بسعادة أهله في لوحة القلم ، سعد من منح به ، وفاز من وفق له ، هو الحياة الطيبة ، والنعمة السابغة ، والمجد المشيد ، والذكر المخلد ، والشرف الباذخ ، والعز الراسخ ، والجوهر المكنون ، والكنز المصون ، حلية الكريم ، وثروة العديم ، نعم الثقاف للأود ، والدليل على الجدد ، والعِدَّةُ حيث لا عَدَد ، والعُدَّةُ حيث لا عُدَد ، لا يرتاح بأنفاس رياضه الزكيَّة ، إلا ذو النفس الحرة الذكيَّة ، ألا وإن بالعلم تثبت للإنسان المزيَّة ، على مشاركة في الجنسيَّة ، فإن عدم فهما ، شرع سواء بجامعة الشهوة والغذاء ، وليس للبشر آفة كالجهل ! فبئس الصاحب رأس كل شر ، يشين صاحبه ويرديه ، وفي المهالك يلقيه ، ويستولي بظلمته على البصر ، والبصيرة ، والفكر والهواجس والفكرة ، فيخال النقص زيادة ، والقبيح حسناً ، والهوان عزاً ، والعار فخراً والفضول فضلاً ، والبؤس نعيماً ، لا تسوغ معه نعمة ، ولا يتم خفض ولا دعة ، قيل لأعرابي : { أيسرك أيكون لك وفر[٤٩] ، وأنت جاهل ؟! } ، فقال : { لا ! يجني عليَّ جهلي جناية ، يذهب ما عندي ، وأبقى جاهلاً أحمق ! } [٥٠] بعداً له وقد بعد ، وانفضَّت أيامه السود ، ولياليه اللواتي كلهنَّ سرار[٥١] ، ولم تك في حاله الماضية ولا ليلة استقبال ، وسعدنا بأيام أشرقت بها شمس العلم ، والمعرفة بالسعود ، وعادت لياليا بيضاً بسواطع النجوم ، والأقمار المبشرة بالصعود إلى أوج الكمال ، فالحمد لله على نيل المنى ، وبلوغ الأمل ، ونجاح القصد ، فقد أصبحت رسوم العلم ربوعاً عامرة ، بعدما كانت ربوعه رسوماً داثرة ، فروض المعارف يسقى بزلال الصفاء والاتحاد ، لا كدراً ولا مذقاً[٥٢] ولا آجناً ولا طرقاً[٥٣] ، فتعبق ألأزهار بالنشر المستعار ، من طيب خلائق وشمائل الأحرار أولي المساعي والآثار ، نشكر كل من بذل جهده ، وأنفق وجده ، وأيقظ[٥٤] عزمته وجرد فكرته وهمته ، في تأييد العلم وتشييده ، وتوطيد بنائه وتمهيده ، وصنع العوارف ، ونشر المعارف ، وإنفاق الرغائب ، ونظم المكاتب .

أثني على دار السلام ، معدن الكرام ، فإنهم أجابوا داعي المكارم ، ملبين ، ونهضوا مسرعين ، وأمعنوا في اكتساب الفضائل ، واقتناء المآثر ، متعاضدين على الخير ، والمعروف في سبيل الترقي ، وأخص بالثناء الغيارى الساعين في افتتاح المكتب الجعفري ، فإنهم أهل لأن يتشكر لهم الصنيع ، والإحسان ، وتعزى إليهم الفتوة ، والنجدة ،

والغيرة ... نعم رجال الوطن ، المؤدون فروض حقوقه ، والسنن ، هم وسائط عقده ، وكواكب سعده ، أنسوا وحشته ، وأناروا ظلمته ، وحلوا عطلته ، ورووا غلته ، فلا برحوا موفقين ، لكل صالح مشكور عند الله والعارفين { لن يذهب العرف بين الله والناسِ }[٥٥] ، نسأل الحي القادر الذي لا يعجزه شيء ، أن يوقظ همة أهل كربلاء ، فقد أخذتها سنة الغفلة ، فمن طلب المعالي ، وأداء حق الوطن ، فقد هتف واستنجد ، ولكن بمن ؟!! بمن رضي بالدون ، وأخلد إلى الهون ، لا حراك ، ولا ركز ولا ....[٥٦] ، جمرة التحريض على ماء يطفي لهبها ، ويخمد جذوتها ، أو ما يعز عليهم ، وفيهم الأشراف ، والأمجاد ، أن تبقى بلدتهم ، رهينة الجهل والبلادة ، ويعمَّر غيرهم بالعلم أوطانه وبلاده ...

[من الرمل]

{ أسفاً لو كان يجدي الأسف ... حين جدَّ الناس سيراً أو وقفوا
كان للعلم بهم منزلة ... لا يسامى مجدها والشرف
أنكروا الجهل كما قد عرفوا ... شرف العلم الذي لا يوصف
فلماذا عرفوا ما أنكروا ؟!! ... ولماذا أنكروا ما عرفوا ؟!! }

إلى الآن لم تقع فيهم عين الرقي على أثر ، ولا بلغ الوطن – ولله ظلامته – حاجة ولا وطر ، أين الصفاء والاتحاد ؟!! والمحبة والوداد ؟!! أي مكتب فتح ؟!! أي مراد نجح ؟!! أي معارف نشرت ؟!! أي مقاصد عالية أدركت ؟!! هذا – والله – هو الحرمان ، والخذلان ، أبعد أن قرب من الأمور نائيها ، وطابت مجانيها ، وأسعفت النفوس أمانيها ، وأعذر بالدعاء داعيها ، ... ألا وإني قلت ما قلت ، ولم أرد سوءاً إن هي إلا نصيحة وعتاب ، وتحريض لأولي الألباب ، للأخذ من الحظ الأوفر ، والنصيب الأوفى ، والسعادة الدائمة ، .... { وما توفيقي إلا بالله } [٥٧]، { والله يهدي من يشاء }[٥٨] » .

(٥)

« الحمد لله ، والصلاة على نبيه ، الذي بعث متمماً لمكارم الأخلاق [٥٩] وآله الذين أضاؤوا بأنوار علومهم الآفاق ، وبعد ؛

أيها السادة والمشايخ الذين ضمَّهم هذا المحفل الشريف ، مبدأً ، وغاية ، فإني أتفاءل لكم بالنجاح ، والحصول على ما به السعادة الدنيوية ، والأخرويَّة ، وأستميح من مصدر الفيوض ، والألطاف لكم ، التوفيق الذي هو أساس كل عمل مشروع ، كما إني أهنئكم[٦٠] بانعقاد هذا المجلس الزاهر ، إذ أراه رائد الخير ، وطليعة الارتقاء ، لقد ترشحتم لأمر ، إذا تمَّ يكون شامة لوجنة التاريخ ، وحلية لجيد المجد ، وواسطة لعقد الفخار ، وزهرة لرياض العلم ، فإذا ذكرت نهضةُ العلم بكربلاء ، كان لكم فخر التأسيس ، والذكر الجميل .... نعم ، إنَّ الأفكار الثاقبة ، والهمم الزاكية ، كانت مضطهدة ، فأطلق سراحها عاشر تموز ، فنشطت من عقالها ، وجدَّت في ميادين السباق إلى المعالي ، بيد أني في هذه المدَّة التي ذهبت ضياعاً ، أجيل في الأرجاء طرفي ، وأصغي إلى القالة سمعي ، لأرى وأسمع ما ينعش رمق آمالي ، فلا طرفي رأى ما يبتهج به ، ولا { طرق }[٦١] سمعي ما يرتاح { إليه } [٦٢] ، حتى كادت سلطة اليأس – ويا بعداً لها – تستولي على مملكة لرجاء . إنَّ الممالك العثمانية المحروسة ، لا تزال ساعية بكل الوسع والجهد إلى[٦٣] اقتناء العلاء ، واكتساب المجد ، تمحو ظلمات الجهل المطبقة ، بأنوار وأضواء[٦٤] العلوم المشرقة ، فكل بلد عثماني ، أخذ نصيبه الأوفى من الهيأة[٦٥] الاجتماعية ، ما عدا هذا الوطن المقدَّس ، الذي هو مطمح الأنظار ، لشعب جعفري عظيم ، كان من حقه أن يكون في عداد البلاد الراقية ، ولقد أصبحت – ويا للأسف – لا أدري في أي صنف من بلاد الخمول أجعل عداده ...

اللهم غفراً !! فقد تحامت { كذا }[٦٦] على الوطن العزيز ، وبما أن الليث يتجمع للوثبة ، سأشد عضد رجائي بمساعي أهله الغيارى ، أو إلى الحميَّة ، والشهامة ، فما تأخره بمانع أن يقوم بنشاط وحماس ، ويتحرى المستقبل الزاهر إنَّ حضرة الفاضل ، السيد عبد الحسين ، كليدار الروضة الحسينية[٦٧] حقيق أن تقابل همته العالية بالشكر ، وأن تضاف هذه المكرمة إليه ، لم يزل ضميره الحر ، وهواجسه الحساسة ، مركز النيات الصالحة ، لكن لم يوازره عليها أحد من الأعيان فيما مضى ، وكفى بكم أيها الأماثل المحترمون ، أعواناً وأنصاراً على الخير ، تشدون أزره ، وتشيّدون بناءه ، في سبيل إعلاء شأن الوطن ، حتى يعود من الأعضاء الرئيسة[٦٨] في المجموع الإنساني ، وبحصولي على الرخصة منكم بوضع (بروغرام)[٦٩] يعين خطة محفل التهذيب ، قدمت إليكم ما سنح في خاطري القاصر ، ولكم سلطة الاختيار ، والنقد ..

إنَّ الخطة تؤسس على مواد ثلاث : الأولى : توحيد الكلمة ؛ بمعنى أنه يجب علينا أن نعتقد أن الأمة الإسلاميَّة ، هي التي تكون غرَّة في جبهة الدهر ، تطبيقاً على البشارة المكتوبة في الزبور[٧٠] ، فنسعى بما في وسعنا ، بتوحيد الكلمة الحافظة للتوحيد ، وتأييد الجامعة الإسلامية الكافلة بالنتيجة ، تعويلاً على أنَّ المسلمين جميعاً ، يرمون إلى هذه الغاية ، ويجب رفض العصبيات التي أوهت قوى الإسلام ، وسلبت عزَّه ، ومجده ، ولا نشعر بخصم لنا سوى الأجنبي الذي اكتسح بلادنا ، إلا اليسير ، ويوشك أن يضيف هذا اليسير – لا سمح الله - ... عاصفة أورياوية...

الثانية : تشييد المعارف ، ونشر العلم ؛ بمعنى أن نستفرغ جهدنا ، واستطاعتنا في سبيلها ، على أن تكون للدين عليها سلطة تامة ، تنفي ما ينافيه ، ويخدش نواميسه المقدسة .

الثالثة : إصلاح ذات البين ؛ بمعنى أن نسعى في تأليف القلوب ، وجمع شمل الوطنيين ، ونتوسط كل خصومة تؤول إلى نزاع ، أو تثير فتنة ، فتولي الإصلاح ، على حسب الإمكان .... هذه أصول مواد الخطة » .

(٦)

« نشر سؤال تداولته الجرائد ، مجيبة عنه ، وهو (من السعيد في حياته ؟!!) ، فأجاب :

{ أيها السائل : من السعيد في حياته ؟

سؤالك – وفقك الله للسعادة –[٧١] ، يدل على فضلٍ ، وحسن نيَّة ، لأنَّ السائل يسأل عما يعنيه ..

اختلف الناس في معنى السعادة ، لاختلافهم عقيدةً ، وطبعاً ، وهمَّةً ، فمن قائلٍ إنَّ السعيد من أخلص لله دينه ، وبنى على أساس المعرفة يقينه ، فكان مصداقاً لقوله تعالى : ((وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها))[٧٢] .

ومن قائلٍ : إنَّه الذي أقبلت عليه الدنيا ، وأينعت له ثمار نعيمها ، وعند كثير أنَّ ذلك من تأثير الكواكب ، والأفلاك ، كما قال ملك الصين للاسكندر حين سأله عن سبب طلبه الصلح على ما هو عليه من الشوكة ، والاقتدار : إني رأيتك سعيد الطالع ، موفقاً ، يساعدك العالم العلوي ، وعلمت أنَّ من قاوم الأفلاك ، والأقدار ، غُلِبَ .

وبالجملة ؛ إنَّ الأقوال المختلفة لفظاً ، ومعنىً ، أو معنىً بحيث المرجع واحد ، ... كثيرة ، الاعتزال عن الناس ، الغنى عنهم ، ثروة ، أو قناعة ، صلاح الولد ، والأهل ، مكارم ألأخلاق الجالبة حسن الذكر ، ومحبة الناس له ، ... إلى ما يطول ذكره ، ، وإني مع اعتقادي أنَّ السعيد من فاز برضوان الله في حياته ؛ طاعة وإخلاصاً ، أرى السعادة لاثنين ، سلطان عادل ، فهو ظل الله في الأرض ، أضفى[٧٣] ظل عدله ، وأصفى منهل سيرته ، فورد[٧٤] الرعيَّة زلال محبته ، فبذلت النفوس والنفائس في سبيل طاعته ، فدانت الملوك لهيبته وسطوته ، وغرَّدت حمائم العمران في رياض مملكته ، فسلطانه على الأجسام والأرواح ، وأيامه أيام بشائر وأفراح ، وهو السعيد المنعم الخالد الذكر ، ....

ورجل صحيح الجسم ، منحه الله رزانة عقل ، ترسم في مرآته صور السداد والصواب ، وغزارة علم لا ينزف بحره ، وثروة مال لا ينضب ينبوعه ، يسدي به العوارف المحمودة ، والصنائع المشكورة ، ويشيد أبنية المعالي الباقية ، على كره الأيام ، والليالي .... هذه سعادة الحياة ، ولا تختص بزمان ، ولعلَّ قولي يوافق رأيك النبيل .... أيها السائل المحترم

أبو المحاسن
محمد حسن } »

١٣٢٩

(٧)

« نحمد المنعم الواهب ، ونصلي على نبيه المبعوث هادياً إلى سبيل معرفته ، ناشراً ظل عدله ، بالمساواة بين خليقته ، وآله ، وصحبه ؛ الكرام ،

وبعد ؛

فإنَّ لكل ليلٍ صباحاً[٧٥] ، وقد انجلى ظلام الخطب عن ضياء الفرح بالنجاح ، وأعطى الله هذه الأمة مناها ، وشيَّدَ مجدها وعلاها ، وأطلع سعودها بعد الأفول ، وأمضى صوارم عزمها بعد الفلول ، وساق إلى بلدها ؛ المحل الميت ؛ بالجور ، سحاب لطف ثراه بالعدل ، وجعل مصدر هذه الغاية ، والفيض ، جلالة مولانا السلطان ، فألهمه نشر ما طوته أيدي الدهور ، من الحرية التي كان طيها حجباً في صدور ألأعيان ، والصدور ، وقد باد في طلبها الجمهور ، وما نفذ العزم حتى نفد المقدور ، ولقد كانت معشوقة أهل الكمال ؛ أعني الحرية ، قد حجبها النيران في حمى دونه الحمام ، حتى كاد يفتك بالفكر ، إذا رسمت صورة جمالها في مرآة الضمير ، ولما رأى أن الحجاب يزيدهم شوقاً وغراماً ، وصبوة وهياماً ، وأنس منهم الهوى المحض ، والعفاف الخالص ، وأنهم أكفاء هذه العقيلة الكريمة ، وقد سمحوا بنفوسهم النفائس ، مهراً لها ، وأرخصوا ما غلا في سبيلها ، أبرزها في حليها وحللها ، ووكَّل بحماتها القانون الأساسي ، المنيع الجانب ، الحامي الذمار ، وعزَّزه بالصفوة المبعوثين – أرشد الله أمرهم – فقيَّد النفوس بإطلاقها من أسر المحن بقيد المحبَّة ، فطبعت عليها ، وصفت من كل شائبة ، وإذا أحبَّت الملة سلطانها ، أشرق سعده ، ومضى حده ، وكانت أيامه أيام نعم ، وبشائر من كل غائلة ، هذا وأحسن البشائر ، ما كانت نوعية ، والمسلمون سواء في فوائدها ، وهذه نعمة عامة ، شاملة ، ورد العموم بها زلال الراحة ، والدعة ، من ظماء كاد يقضي على الأرواح ...

ومن العجيب أن بعض النفوس ، تهوى أن تبقى أسيرة الاستبداد ، فلا تبارح وادي عوف – المثل { لا حرَّ بوادي عوف }[٧٦]- فشأن جمعية الاتحاد أن تتألفهم ، بوصف محاسن الحرية ، حتى يستضيء الصبح لذي عينين ..

إنَّ فضيلة السبق في هذا الرهان ، لا تزال للأول ، فتسابقوا في خدمات الوطن ، وليكن همُّ الجميع – بعد الاعتصام بحبل الله – طلب المعالي والعلم ، الذي هو الكمال ، والملاك ؛ لشرف الإنسانية ، واكتساب مكارم الأخلاق ؛ من الصدق ، والوفاء ، والعفة ، والجود ، والشجاعة ، والحلم ، وهذه الأربعة أركان السؤدد ، والصبر على المكاره ؛ فبه تدرك الحاجة ، والتعاضد ، والاتحاد الذي هو الحصن الحصين لحفظ كيان الأمة ، واصطناع المعروف ؛ قولاً وفعلاً ، فإنه أقوى أسباب المحبة ، { لا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم }[٧٧] ، والنهي عن المنكرات ، واجتناب الظلم الذي هو { ظلمات يوم القيامة }[٧٨] ، فسيراً معشر الأحرار في مناهج الترقي ، وسموَّاً إلى معارج الشرف ، إن لكم أسوة بصالحي السلف ، تصفحوا الأخبار والسير ، تجدوها

بالمحامد مشحونة ، وأسرار المجدلديها مكنونة ، أولئك الحماة المصاليت ، جروا إلى الأمد ، واستولوا على الغاية ، فملئت منهم قلوب الأعادي ؛ خوفاً ، ورعباً ، فلو علموا اليوم منكم مثل اجتماعهم أمس خضعوا ، وللسلم فزعوا ،وأيسوا مما به طمع .... عليكم بتلك الفعال ، مقتدين بقول من قال :

[من الكامل]

{ إنا وإن كرمت أوائلنـــا لسنا على الأحسابِ نتكل
نبني كما كانت أوائلنـــا تبني ونفعل مثلما فعلوا }[٧٩]

ثمَّ أبشروا بالفوز ، والنجاح القريب ، اليوم حيل بين المستبدين ، وبين ما يشتهون[٨٠] ، وتناول القوس باريها ، هذا والله بشركم بالصعود إلى الأوج ، ونذير أعدائكم بالهبوط إلى الحضيض .. » .

« ثمَّ ختم الخطبة بهذه الأرجوزة الحماسية التي بعثت في كل نفس ، عزم خميس عرمرم :

[من الرجز]

{ يا أمة التوحيد صمداً صمداً قد أحكم الأمر وعاد جداً }[٨١]»

المبحث الثاني :

نظرة في موضوعات النصوص ..

احتوى ديوان أبي المحاسن – المطبوع – على عدد من النصوص النثرية[٨٢] ، وهي - في الغالب – نصوص قصيرة تتقدَّم بعض القصائد ، وكذلك الأمر في النسخة المخطوطة ، التي احتوت على نصوص طويلة سبعة خلت منها النسخة المطبوعة ، وبعد أن عرضنا تلك النصوص نعرض باختصار موضوعاتها :

النص الأول :

وهو خطبة سياسية ألقاها أبو المحاسن في ذكرى الانقلاب الدستوري العثماني ، تظهر في مقدمتها منزلة أبي المحاسن الأدبية والاجتماعية ، إذ ناب عن المشايخ في إلقاء الخطبة المساندة للحكومة الدستورية العثمانية ، وأعقبها بقصيدة حماسية ألهبت عواطفهم ، فجردوا سيوفهم ، وصاروا يهزونها ، وهم يستمعون إلى القصيدة ..

وقد عبَّر الأديب أبو المحاسن عن موقفه من الدولة العثمانية ، وهو موقف أغلب الأدباء والمثقفين العرب في تلك الحقبة [٨٣] ، فهي دولة الإسلام الكبرى التي يجب على المسلمين الخضوع لها ، والانضواء تحت لوائها ، لأنَّ ذلك داخل في طاعة أولي لأمر التي أمر بها الخالق – عز وجل – بقوله : ((يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا))[٨٤] ، لذا يجب على المسلمين الذود عنها والتضحية في سبيلها بالنفس والنفائس ، لأنَّ عرشها « هو عرش الخلافة الإسلامية » .

وتظهر الخطبة كذلك احتفال العراقيين – شأنهم في ذلك شأن الشعوب الأخرى التي تحكمها الدولة العثمانية – بالمناسبات (الوطنية !) التي كان العثمانيون يحتفلون بها كالعيد الملي (القومي) الذي يوافق اليوم العاشر من شهر تموز ، ففي مثل ذلك اليوم من سنة (١٩٠٨ م) اضطرَّ السلطان العثماني عبد الحميد الثاني [٨٥] إلى الرضوخ لثورة بعض وحدات الجيش ، و « أعلن إعادة القانون الأساسي ... » ، فاستقبلت – بفرح غامر - « بغداد إعادة الحياة الدستورية ، وتآخى الشعب على اختلاف عقائده ... »[٨٦] ، وقد رأى أبو المحاسن أنَّ زمناً سعيداً بدأ بإعلان الدستور العثماني ، لأنَّه كان يؤمِّل في الدستور إحلال الأمة العربية المنزلة التي تستحقها ، بعد أن أساء الدور البائد « إلى هذا العنصر الشريف ، وفرَّق شمله ، وعبث بحقوقه .. » ، إذ إنَّ الأتراك كانوا مواطني الدولة العثمانية المفضلين ، وتأتي القوميات الأخرى – والعرب منهم طبعاً – بعدهم ، على الرغم من أن الأمة العربية تتميَّز على غيرها من الأمم بأنَّ الله – سبحانه وتعالى – بعث منها إلى الناس جميعاً خاتم أنبيائه ، وسيد خلقه محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وأنزل بلغتها كتابه الكريم ، « وشهد التاريخ أنها هي التي ثلمت عروش الدول العظمى ، ونشرت على البسيطة لواء الدين الإسلامي » - مثلما جاء في نص الخطبة - .

وعلى الرغم مما في الخطبة من اعتزاز بالانتماء إلى الأمة العربية ، إلا أننا نجد الأديب فيها معبراً عن ثنائية الانتماء لكل من الأمة العربية الكريمة والدولة العثمانية (دولة الإسلام) ، معاً ، فيصف العرب المنضوين تحت حكم الدولة العثمانية بأنهم « أمة عربية عثمانية » ، ويعد المسؤولين بأنهم رهن إشارة الدولة في التضحية في سبيلها ، والذود عن حدودها ، بعد أن أصبح الإسلام « في خطر عظيم من الأجانب الطامعين » ، وما نرى ذلك إلا إحساساً بأطماع دول الغرب الاستعمارية بتراث الدولة العثمانية التي أطلقوا عليها اسم (الرجل المريض !) لضعف حكامها ، وترامي أطراف حدودها ، لذا « فإنَّ كل قطر من الأقطار العربية كان مطمح أنظار دول عديدة »[٨٧] .

النص الثاني :

وأما النص الثاني ، فهو تقريظ نثري أرسله الأديب محمد حسن أبو المحاسن إلى السيد هبة الدين الحسيني ، لإصداره مجلة (العلم) ، وهي تعد من أهم المجلات التي صدرت في العراق بعد إعلان الدستور العثماني ، صدر عددها الأول بتاريخ ٢٩ / ٣ / ١٩١٠ م ، وكانت « طافحة بالمناقشات الصريحة ، والآراء الجريئة ، وقد نبهت الأفكار إلى الأخذ بأسباب التقدم ، وأيقظت الهمم إلى التآلف ، وجمع الشمل ، والاغتراف من مناهل العلم »[٨٨] ، وقد استمرت المجلة بالصدور مدة سنة ، ثم توقف صاحبها عن إصدارها بعد ذلك .

وقيمة النص التاريخية والأدبية تتجلى في أنَّ كاتبه أبا المحاسن ذكر بأسلوب التورية[٨٩] أسماء عدد كبير من الصحف والمجلات التي صدرت في الحقبة التي تلت الانقلاب الدستوري العثماني ، وهي كثيرة ، إذ هبَّ حملة الأفكار من الأدباء والمثقفين إلى إصدار الصحف والمجلات باللغتين العربية والتركية ، حتى بلغ عددها في بغداد وحدها خمساً وعشرين جريدة ومجلة[٩٠] ، ذلك أنَّ الحرية التي كفلها الدستور سهلت الحصول على امتياز إصدار الصحف[٩١] ، وقد توقف عدد كبير من هذه الصحف عن الصدور بعد ظهور بضعة أعداد ، كصحيفة (الحقيقة) التي « احتجبت عن الصدور بعد أسابيع معدودة »[٩٢] من صدور عددها الأول ، وصحيفة الزهور التي « لم تعمر طويلاً »[٩٣] ، ولم يصدر من صحيفة البرق غير عددين « فظهرت واختفت كالبرق »[٩٤] ، إلا أنَّ أبا المحاسن ذكر أسماءها في نصه النثري ، مما يدل على سعة ثقافته وإطلاعه عليها ، ورصده الدقيق للساحة الثقافية والصحفية في عصره ، وتظهر – في الوقت نفسه – مقدرته الأدبية ، إذ استطاع تضمين أسماء هذا العدد الكبير من الصحف والمجلات في التقريظ الذي بعثه إلى السيد هبة الدين الحسيني .

النص الثالث :

وكان النص الثالث – من نحو ما وصفه كاتبه - « في المداعبة والمفاكهة » ، وهذا لون من الأدب عرفه العرب قديماً ، ولنا في بعض ما كتبه بديع الزمان دليل على ذلك كالمقامة المضيرية[٩٥] ، التي تعد « من أنضر ما كتب في الفكاهات »[٩٦] ، فأراد أبو المحاسن سلوك مسلك من سبقه من أدباء العرب في هذا المجال ، والنص جواب نثري عن شكوى (لا نستبعد أن تكون مزعومة) لعاشق يتظلّم من صد معشوقه ، يشحنه أبو المحاسن بالمحسنات البلاغية ، ويستشهد في أثناء ذلك بشعر – بعضه من نظمه – راسماً بموهبته الأدبية لوحة فنية قصصية تجتذب القارئ إلى متابعة أحداثها ..

وهذا اللون من النتاج الأدبي يلبي حاجة مجتمع لا يعرف من وسائل اللهو ما يعرفه الناس في يومنا هذا ، فكان الأدباء يسهمون أحياناً في جعل بعض نتاجهم الأدبي للترويح عن نفوسهم ، والتخفيف عن متلقي نتاجاتهم ... وكربلاء الحزينة على ما أصاب أهل بيت النبوة على عرصاتها ، وجنايات الدهر على أهلها ، تختلس أحياناً من طرائف الأدب ما يخفف من حزنها ،ويرسم البسمة على شفاه أبنائها ..

ويظهر النص مقدرة أبي المحاسن على إنشاء هذا اللون الطريف من الأدب ، وهذا مما يحسب له ، كما حسبت لبديع الزمان قدرته الخارقة « على بعث الفكاهة ، وانتزاع الضحك »[٩٧] .

النص الرابع :

والنص الرابع خطبة ألقاها أبو المحاسن في بغداد بمناسبة تأسيس (مكتب الترقي الجعفري العثماني) الذي افتتح في السابع عشر من شهر ذي الحجة سنة ١٣٢٦ هـ الموافق للثاني عشر من شهر كانون الأول سنة ١٩٠٨ م [٩٨] ، ويعد هذا المكتب أول مدرسة حديثة للطائفة الشيعية في العراق ، إذ كان أبناء هذه الطائفة محرومين من الدخول في المدارس الحديثة ، لأنَّ الدولة العثماني كانت « لا تحبذ دخول الشيعة إلى المدارس لكي لا يطمحوا من بعد ذلك إلى الوظائف الحكومية ، وكان الشيعة من جانبهم يحرمون المدارس ويعدونها مفسدة للدين والأخلاق »[٩٩] ، واكتفى هؤلاء بالكتاتيب والمدارس الدينية (الحوزات) إلى أن كان الانقلاب الدستوري العثماني ، فسعت نخبة منهم إلى تأسيس مدرسة حديثة خاصة بهم ، وبارك العلامة السيد محمد سعيد الحبوبي [١٠٠] ذلك المسعى ، فكان (مكتب الترقي الجعفري العثماني) ، ولما كان الأدباء هم الطبقة المثقفة المتنورة في المجتمع ، فإنهم تفاءلوا بهذا المسعى ، وفرحوا بافتتاح هذا المكتب ، وعبَّر أبو المحاسن عن مشاعره في هذه الخطبة لما للعلم من أهمية ، إذ يتفاضل الناس به ، فـ « تثبت للإنسان المزية على مشاركة في الجنسيَّة » ، وسرد قصة أعرابي فضّل العلم على المال ، لأنَّ الجهل قد يوقعه بمشكلات تأتي على ما يملك من أموال ، فيعود جاهلاً مملقاً ، ثم استشرف مستقبلاً فيه تشرق شمس المعرفة والعلم بالسعود وزوال ليل الجهل والاستبداد بعد الانقلاب الدستوري العثماني سنة (١٩٠٨ م) .

وبعد أن حمد لأهل بغداد همتهم في إنشاء ذلك الصرح العلمي ، نعى على أبناء مدينة كربلاء المقدسة تقاعسهم ورضاهم عن تأخرهم العلمي والحضاري ، و« أن تبقى بلدتهم رهينة الجهل والبلادة » ، ثمَّ توجه بأسئلة – على سبيل المجاز – من أجل لومهم وتنبيههم على ما هم عليه من التقصير في الإفادة من زمن الحرية .. « أي مكتب فتح ؟ أي مراد نجح ؟ ، أي معارف نشرت ؟ .. » معبراً عن إحساسه بمدينته ورغبته في أن يحذو أبناؤها حذو غيرهم في تيسير طلب

العلم والمعرفة والثقافة العصرية ، إذ عرفت كربلاء في تلك الحقبة عدداً من المدارس ذات الطابع الديني التقليدي ، وكان عطاؤها محدوداً ...

النص الخامس :

ويبدو أن النص الخامس كان خطبة أو حديثاً أدلى به أبو المحاسن في تجمع ثقافي اجتماعي ، دعا إليه سادن الروضة الحسينية[١٠١] ، ويظهر من سياق الحديث أنه كان في أعقاب الانقلاب الدستوري العثماني ، إذ « إن الأفكار الثاقبة والهمم الزاكية كانت مضطهدة فأطلق سراحها عاشر تموز » ، فهبَّت البلدان الخاضعة لسيطرة الدولة العثمانية « لأخذ نصيبها الأوفى » من الحرية التي أتاحها الدستور العثماني « ما عدا هذا الوطن المقدس » - ويريد به مدينة كربلاء – ثم يشكر للسيد السادن همته العالية بدعوة عدد من رجال المدينة لمناقشة كيفية الارتقاء بأبناء المدينة إلى مستوى العصر ،وبما يتلاءم والحياة الجديدة التي أعقبت الانقلاب الدستوري ، واقترح أبو المحاسن على المجتمعين ثلاثة أمور تدل على وعيه بالمرحلة ، وإحساسه بالأخطار التي يتعرض لها المسلمون ، الأول : نبذ الفرقة والتشتت ورفض العصبيات ، والاتحاد داخل إطار الجامعة الإسلامية ، لأنَّ العصبيات وما تؤدي إليه من فرقة ، تضعف المسلمين ، وتوهن قوتهم ، وتطمع الأعداء فيهم ولاسيما دول أوربا ، والثاني : الانفتاح على العلوم قديمها وحديثها شرط عدم تعارضها مع الشريعة الإسلامية ، والثالث : إصلاح ذات البين وتأليف القلوب ، وعدم الانجرار إلى الفتن والنزاعات ..

لقد أصاب أبو المحاسن – رحمه الله – تشخيص الداء ووصف الدواء ، ولا نحسب حكيماً يرى ما عليه العرب والمسلمون اليوم وينصح بغير ما اقترحه أبو المحاسن ..

وعليه فلم يكن الرجل أديباً فحسب ، وإنما كان سياسياً حكيماً ينظر إلى المستقبل نظرة الحريص على الأمة كلها ، إذ لم يسع إلى خير فئة أو طائفة دون أخرى ، وإنما يدل نتاجه الأدبي على انتمائه إلى العروبة والإسلام ، الإسلام الذي يجمع ولا يفرق ، ويوحد ولا يشتت ...

النص السادس :

وقد أجاب أبو المحاسن في النص السادس عن سؤال توجه به أحدهم إلى الصحف ، وهو : « من السعيد في حياته ؟!! » ، ومع أنَّ هذا السؤال من الأسئلة التي ألحَّت على الإنسان منذ أن بدأ يفكر ، فشغل المفكرون والعلماء في البحث عن إجابة له[١٠٢] إلا إنَّه طرح مرة أخرى بعدما انتشرت الصحف ، وكثر عددها ، وتنوعت اتجاهاتها ، بعد الانقلاب الدستوري العثماني ، إذ حسب الناس أنَّ في الثقافة الحديثة إجابة جديدة عن ذلك السؤال القديم ، فتصدى أبو المحاسن للإجابة عنه من أوجه عدَّة ، بدأها بإجابة المتدينين لأنَّه منهم ، وقد نشأ بمدينة كربلاء المقدسة ، مدينة المزارات والقباب الذهبية ، لذا فإنَّه قال : إنَّ السعيد من أخلص لله دينه ، واستشهد بآية كريمة من الكتاب العزيز ... ثمَّ نظر إلى الأمر من زاوية أهل الدنيا الذين يرون أنَّ السعيد هو من « أقبلت عليه الدنيا وأينعت له ثمار نعيمها ... » ثمَّ أعقب ذلك برواية تاريخية تؤيد ذلك المذهب ، وبعد عرض وجهات النظر المتباينة خلص إلى أنَّ السعيد هو من فاز برضوان الخالق الجليل – تقدست أسماؤه – وهو أحد رجلين : سلطان عادل سار بشعبه من خير إلى خير ، فأحبه شعبه ، ونال رضا خالقه ، والثاني رجل توافرت فيه أمور منها صحة الجسم ورزانة العقل وغزارة العلم وثراء يتمكن معه من مساعدة الآخرين ، والإحسان إلى المعوزين ... وهو في ذلك يميز بين ذي السلطة وغيره من أبناء المجتمع ، ونحسب أنَّ في الإجابة حثاً ضمنياً على إيثار مصالح جماهير الشعب على مصلحة الحاكم الشخصية ، لأنَّ السلطان مهما حقق لنفسه من مكاسب مادية فإنَّه لا يكون سعيداً إن لم يحضَ بحبِّ شعبِهِ .... وفيها كذلك توجيه للعامة إلى الاهتمام بالعلم والمعرفة ، لأنَّ السعادة لا تتم للإنسان الجاهل مهما أوتي من ثراء ...

النص السابع :

وكان النص السابع خطبة ألقاها الأديب الكربلائي بعد الانقلاب الدستوري العثماني ، إذ يذكر في أثنائها انجلاء الظلام وإشراق شمس الحرية بفضل (مولانا السلطان) ، ويشيد بالقانون الأساسي ، وجهود جمعية الاتحاد والترقي ، وهي جمعية بدأت سرية عندما تألفت سنة (١٨٨٩ م) من عدد من طلبة (الطبية العسكرية) وعدد من الأتراك المقيمين في فرنسا ، وكان هدفها محاربة الاستبداد - والعمل على جعل الدولة العثمانية دولة دستورية ، وبعد عمل دؤوب خارج الدولة العثمانية وداخلها ، انتشرت فكرة « إصلاح أحوال الدولة العامة بإنهاء الاستبداد وإعادة الدستور » ، وتوافرت وسائل تحقيق هذه الفكرة ، فكان الانقلاب الدستوري العثماني يوم ١٠ تمو. (١٩٠٨ م) [١٠٣] الذي احتفلت به البلدان الخاضعة للدولة العثمانية وصار عمل جمعية الاتحاد والترقي علنياً ، ولم يقتصر عملها على تركيا ، وإنما فتحت لها فروعاً في « بغداد والبصرة والموصل والنجف والحلة وكربلاء وغيرها من المدن العراقية ، وكان افتتاح الفرع في كل مدينة يجري باحتفال فخم تلقى فيه الخطب والقصائد ... »[١٠٤] ، ولعلَّ أبا المحاسن قد ألقى هذه الخطبة وأعقبها بأرجوزة من نظمه في إحدى تلك الاحتفالات . بدأت الخطبة بحمد الله والصلاة على نبيه الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وآله (عليهم السلام) ، وأصحابه (رضي الله عنهم) ، ثمَّ بيَّن انجلاء ليل الاستبداد وبزوغ فجر الحرية ، فنالت الشعوب مناها بفضل السلطان الذي تفضَّل على رعاياه بالدستور بعد أن عرف منهم الرغبة بالحرية والاستعداد للتضحية

في سبيلها ... بعد ذلك تعجَّب من ظهور دعاة الاستبداد الذين يعارضون الحياة الدستورية ، إلا إنَّه اقترح على جمعية الاتحاد والترقي أن لا تأخذ المعارضين بالشدة ، بل أن تتألفهم إلى أن يقتنعوا بالأهداف التي تسعى الجمعية إلى تحقيقها .. وحثَّ المجتمعين على خدمة الوطن ، وطلب العلم ، والمعالي ، واكتساب مكارم ألأخلاق ... ولم تفته الإشارة إلى عظمة التاريخ العربي الإسلامي وضرورة الاعتبار به ، وقبل أن يبدأ بإنشاد أرجوزته تفاءل بالفوز والنجاح القريب ... ولكن لم يكن – للأسف – تفاؤله في محله ، إذ لم تمر غير سنوات قليلة حتى نشبت الحرب العالمية الأولى التي أدَّت إلى انهيار الدولة العثمانية ، وتمزُّق أوصالها ..

يلاحظ على هذه النصوص النثرية السبعة غلبة الطابع السياسي ، إذ إنَّ النصين الأول والسابع هما نصان سياسيان يتعلقان مباشرةً بالانقلاب الدستوري العثماني ... أما النصان الرابع والخامس فهما يجمعان بين السياسة والثقافة ، وكان النص الثاني ثقافياً ، وتضمن النص السادس موضوعاً فكرياً فلسفياً ، واقتصر النص الثالث على الفكاهة والترفيه ...

وتنتمي النصوص جميعاً – باستثناء النص الثالث – إلى الحقبة التي خضع فيها العراق إلى الدولة العثمانية ، وفي السنوات – أو الشهور – التي أعقبت الانقلاب الدستوري العثماني ، ولا يوجد في النص الثالث ما يشير إلى تاريخ إنشائه ، ونحن نعجب من خلو المخطوط من نصوص نثرية أنشئت في أثناء الاحتلال البريطاني ، أو في أثناء تسنّم الأديب أبي المحاسن منصب وزير المعارف – بعد قيام الدولة العراقية - مع إنَّ الديوان احتوى على نصوص شعرية تنتمي إلى تلك الحقبة .. ولعلَّ الزمن يجود على الباحثين بنصوص أخرى - نثرية أو شعرية – من تراث الأديب العراقي الحاج محمد حسن أبي المحاسن .

المبحث الثالث :

من السمات الأسلوبية ، والفنية في نصوص أبي المحاسن النثرية

من المعروف أنَّ في دراسة النص الأدبي ، وتحليله مناهج عدَّة ، منها منهج اخترناه ، يتلاءم وطبيعة المضامين المدروسة ، وعلاقتها بزمن الكتابة ، وبالبيئة الاجتماعية ، والثقافية ، الحاضنة ، والمؤثرة في مستوى الإبداع ...

وقام منهجنا في هذه الدراسة على محورين (مبحثين) ، الأول : موضوعي ، بيَّن أهم المقاصد الرئيسة في كل نص ، وقد تمَّ التطرق إليه في المبحث السابق ، والمحور الثاني : أدبي ، فني ، عمد إلى تسجيل أهم الخصائص الأسلوبية ، والفنية التي اتصفت بها نصوص أبي المحاسن النثرية ، وهي على سبيل الإجمال ، والإيجاز :

أولاً :

إنَّ علاقة التاريخ بالأدب ، علاقة محتوى بصور ، ودلالات بألفاظ ، ونقد بتقويم ، وعبر بنظر ، لأنَّ كليهما يلتقيان في مجرى واحد ، وهو تسجيل الأحداث الجسام ، والمواقف المشهودة ، والوقائع المهمة ، وأضرب الحضارة المتنوعة ، ؛ تسجيلاً إما شعرياً ؛ يلفت القلوب إلى مواطن الجمال ، وينبه العقول على مكامن الحكمة ، والنصيحة ، وإما نثرياً ، لا تبارحه الحقيقة ،ولا ينفك عنه الفن الأدبي ...

فالنثر المؤرخ للأحداث – مثلاً – حين يسمو به الخيال ، وتنضجه العاطفة ، سيكون إفصاحاً منظماً عن جوانب من الحياة العامة[١٠٥] ، وشؤون العلاقات الوجدانية ، وشجونها ، وتبياناً لمواقف الأمم ورموزها ، إزاء الملمات التي يكون لها تأثير واضح في الجماعات ، والأفراد ، لأنَّ هذا النثر (التاريخي) ، (الأدبي) ، يحمل في سطوره شحنة قوية ، وقدرة هائلة على تصوير مظاهر الحياة المختلفة ، مثلما يحافظ – في الوقت نفسه – على قرائح الأدباء ، وأذواق المتلقين ، فضلاً عن عنايته بلغتنا العربية الجميلة [١٠٦]..

ولقد أدرك أبو المحاسن - وهو الفقيه ، الأديب - بشعوره المرهف ، وذهنه الواعي ، وعلمه الغزير ، تأثير العلاقة الوطيدة بين الأدب والتاريخ ، في النفوس السليمة ، فوظَّف تلك العلاقة في نصوصه النثرية ، مازجاً فيها بين دقَّة سرد الأحداث - بوصفه شاهداً على عصره - وبلاغة التراكيب اللغوية – في الأغلب - ، وإنشائية الخطاب السياسي ، والاجتماعي – في الأعم – وانسيابية الأداء البياني والبديعي – في فقرات مطوَّلة – وجزالة العبارات – في مفاصل كثيرة –[١٠٧] ، وجنوحه نحو تقليد كبار من سبقوه في هذه الضروب الأدبية – في المحصلة العامة - .

وعليه ؛ يستنتج الدارسون ، والنقاد ، أنَّ نصوصه النثرية لم تكن – على اختلاف موضوعاتها ، وأساليبها – ترفاً ، فنياً ، عقيماً ، كما لم تكن مجرد تسجيل أحداث ، مقترنة بأزمان ، أو أخبار مرتبطة بأطراف ما ، إنما هي استجابة أكيدة ، لصدى تأثير الظروف السياسية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، والثقافية ، في المجتمع العربي[١٠٨] - بوجه عام - والعراقي – بوجه خاص – وتصوير هذا التأثير تصويراً أدبياً ، تعاضدت فيه الحقيقة والمجاز ، وانصهر محتواه ضمن بناء فني شبه متسق ، مؤثر في النفوس ، والألباب ، وقد كان هذا المسعى ، مما يطمح إليه جل الأدباء العرب مطلع القرن العشرين . ومن هنا ، كان العثور على نصوص أدبية إنشائية ، يعد إنجازاً في باب الدراسات الأدبية ، إذ يمثل هذا قناة ترفد الحركة الأدبية – مثلما غيرها من الحركات – بمزيد من الوثائق التي تسلط الضوء على مناحٍ من مواقف الأدباء ؛ إزاء الحوادث التي جرت في تلك الحقب ، مثلما تكشف هذه النصوص عن مدى براعة هؤلاء المنشئين اللغوية ، والبيانية فارتباط الأديب الناثر (أبي المحاسن) بحقبة زمنية عاشها ، تجسَّدت في بواكير النهضة المدنية بالعراق ، وببيئة ترعرع فيها ، واستمد ثقافته من جذورها الدينية ، والفكرية العريقة ، ونقصد : كربلاء ، وبظرف سياسي متقلب ، تنازعه خضوع العراق لسيطرة الدولة العثمانية ، والاحتلال الإنكليزي الوافد إبان الحرب العالمية الأولى ، إنما هي مقومات أسهمت –

مع غيرها – في رسم اتجاهات نثر أبي المحاسن ، في مسارات لغوية ، وألوان بلاغية متعددة ... فمثال التاريخ في وجهه الزمني مطلع القرن العشرين ، نجده في نص أبي المحاسن الآتي : « دعا حضرة جمال بيك ، والي بغداد ، أمراء ، ومشايخ العرب ، لحضور الاحتفال في العيد الملّي – ١٠ تموز –فكان لاجتماعهم بالعدة ، والعدد ، والخيل ، والسلاح – الموزر- منظر أنيق ، ومرآى فائق ... »[١٠٩] ، ومثال الأوضاع السياسية القاتمة وقتذاك ، نذكر قوله : « إنَّ الإسلام أصبح اليوم في خطر عظيم ، من الأجانب الطامعين ، ... ولا نحيط وصفاً ببيان استيائنا العظيم ؛ من عداء إيطاليا ؛ تلك الدولة الظالمة ، المتجاوزة على طرابلس الغرب ... »[١١٠] ، ولما أراد أبو المحاسن أن يصف طرفاً من الأنشطة الثقافية القليلة في تلك الحقبة ، فإنه ذكر عدداً من الصحف الصادرة في حينها ، في قوله : « فقد سعد الوطن ، وفاز (بحقيقة) المعارف لا المجاز ، وهي مجلة العلم المتحدة (بكلمة الحق) ، .... فتلقت (الأمة) روائع تلك (الزهور) ، بالارتياح والسرور... »[١١١] ، كما ذكر أعلاماً أدبية معاصرة له في كربلاء ؛ من أمثال : هبة الدين الحسيني ، والسيد عبد الحسين الكليدار سادن الروضة الحسينية المطهرة .

وفي نصوصه الآنفة ، يمكن أن نتلمس أثر البيئة فيها ، من نحو رسالته الإخوانية المارة الذكر إلى أحد أصحابه في كربلاء ، وهي في المفاكهة والمداعبة[١١٢] . والخلاصة في هذه النقطة ، إنَّ هناك نغمة طاغية[١١٣] في كل نص من نصوصه ، تشير بخصائصها اللغوية ، إلى موضوعات ارتبطت بالعصر ، والبيئة ، وحالة قائلها ، ارتباطاً ملحوظاً ، كالحماسة في خطبه السياسية ، والمزاح في رسائله الإخوانية ، والأسى على حال كربلاء التعليمي في رسائله الثقافية[١١٤] ...

ثانياً :

لا ريب في أنَّ نصوص أبي المحاسن النثرية ، لها بناء فني شبه متسق ، يختلف في هيكله ، وصوره ، باختلاف أغراض هذه النصوص ، ومضامينها ، .... ولكي يكون الكلام على مطالع هذه النصوص ، ومقاصدها ، وخواتيمها ، مستوسقاً ، ومتصلاً ، ومجملاً ، فإننا سنوجز الحديث – في هذه الفقرة – عن البناء الفني لكل نص – على حدة – متجنبين تكرار تفصيل موضوعاتها – مما تناوله المبحث الثاني – إلا بقدر ما ينفعنا في الإشارة إلى ماهية كل مقصد ، وعلاقته بمطلعه ، وخاتمته .. فمقدمة خطبته المعروفة بخطبة (أمراء العرب) (النص الأول) ، وهي وصف لما حصل في الاحتفال السنوي للعيد العثماني ، من تضامن العرب مع الأتراك بوجه أطماع دول الحلفاء ، إنما بدأت بتوجيه الكلام إلى (مشايخ العرب وأمرائها) ، من دون ذكر التوطئة التحميدية اللازمة ، والمعتادة ، في الخطب الدينية ، والسياسية ، ولعلها حذفت ، أو سقطت عند النسخ ، أو لأنَّ صاحب النص رآها من البديهيات المعروفة لدى المتلقين ، فسارع إلى التركيز بقوة على سبب الاجتماع ، وما دار فيه ، وما تمخض عنه ، من اتفاق الحضور على وحدة الكلمة ضد الأطماع الأجنبية ... وخاتمة هذا النص كانت تقليداً لما اتبعه كثير من الخطباء العرب الأقدمين ، بوسم نهايات خطبهم بأبيات شعرية مناسبة ، إذ ختم أبو المحاسن خطبته ، ببيتين في الحماسة ، من أبيات أبي فراس الحمداني[١١٥] ، تماشياً مع المضمون المذكور ..

وإذا ما استثنينا التوطئة التحميدية اللازمة ، فإنَّ النص الثاني ابتدأ بخطاب المرسل إليه (هبة الدين الحسيني) ؛ صاحب (مجلة العلم) ، والثناء على شخصيته ، وجهوده في الثقافة ، مع التنويه بأهم الدوريات الصادرة في ذلك الوقت ، في أثناء تقريظه لمجلة (العلم) – التي أصدرها المذكور – حتى ختمت المكاتبة بتأريخ إصدارها ، ولكن عن طريق الحروف ، مما كان يعرف في الشعر ، بالتاريخ الشعري ، لتثبيت الأحداث ، وتقييد المناسبات بالزمن . وها هو ذا أبو المحاسن في النص الثالث ، يكرر ما سبق في مقدمتي النصين السابقين ، بتوجيه الخطاب إلى المقصود بالمكاتبة الإخوانية مباشرة ، ليعبر بعدها عن براعته الأدبية في استحضار مفردات ، ونصوص ، من التراث الأدبي العربي القديم ؛ شعراً ، ونثراً ، والعمل على صياغتها ، وتأليفها ، وانسجامها ، مع مراد نصه في مواساة عاشق ، ثمَّ النهاية بحل مشكلة المتيَّم من خلال قوله : « فلك البشرى أيها العاشق ، فقد رضت الشموس ، ومهدت الطريق ، فتبدلت باللين قسوته ، وبالأنس وحشته والفضل في ذلك للكربلائي ، فلولاه لم ينجح السعي ، فله عليك يد يجب شكرها » ، والنص الثالث في تقييمه ؛ تقليدي ، إنشائي ، بامتياز . واستهلَّ النص الرابع بهذه النصيحة العامة ؛ الخاصة – إن جاز لنا التعبير بذلك - : « إن أولى النفائس بالطلب ، وأحقها بتنافس أهل الأدب ، وأحبها على الندب ، الكريم ، التابع شرعة المجد ، السالك سنن الثناء ، والحمد : القلم الذي هو نور علم .. » ، ثمَّ أفصح بعدها صاحب هذا النص ، في سياق ترحيبه بفتح المكتب الجعفري الثقافي ببغداد ، عن أمله في شيوع المعرفة ، والتدوين في ربوع العراق – على وجه أعم – وكربلاء – على وجه أخص – والأخذ بأسباب العلوم ، واستنهاض الهمم ، وتحفيز الأذهان ، ... ثمَّ كانت خاتمة خطبته عبارات مزجت – بحسن تخلص لائق – بين كلمات إنشائية ، ونص قرآني كريم ، يناسب النصيحة المرجوة : « وتحريض لأولي الألباب ، للأخذ من الحظ الأوفر ، والنصيب الأوفى ، والسعادة الدائمة ، .... وما توفيقي إلا بالله ، { والله يهدي من يشاء }[١١٦] » . وتصدرت ديباجة تمهيدية ، دينية ، مألوفة كلمة أبي المحاسن (النص الخامس) التي ألقيت على تجمع ثقافي ، اجتماعي ، دعا إليه آنذاك سادن الروضة الحسينية المطهرة في كربلاء ، عقب الحركة الدستورية العثمانية ، لتدارس كيفية الإفادة منها في الارتقاء بالمستوى الفكري ، والتعليمي ، في البلد ، وذلك بعد توحيد الصفوف سياسياً ، ونبذ الفرقة ، وإشاعة روح الإخاء ، والمحبة الإسلامية ، وهذا ما أكده أبو المحاسن ، ودعا إليه في كلمته ، وقد وضع تصوراته لتفعيل ما حدث في الاستانة ، عام ١٩٠٨ م .. وليس بمستغرب في الموروث العربي النثري – وقد شاع كثيراً ،

مثلما في هذا النص – أن تنتهي الخطبة بنهاية مفتوحة ، أو بتعبير أدق ، أن تختم بغرضها الأم ، الذي صيغت من أجله ، وكأن ذلك إثبات لأهميته ..

وكان مفتتح (النص السادس) ذكر السؤال المطلوب الإجابة عنه (من السعيد في حياته ؟!!) ليعرض بعدها أبو المحاسن – ضمن مقصده العام – عدداً من الآراء والأقوال ، والشواهد ، التي تتضمن الإجابة عن هذا السؤال – من وجهات نظر مختلفة - في حين جعل أبو المحاسن إجابته في خاتمة المطاف من النص ، وهي – بما مضمونه – انَّ السعيد ، إما سلطان عادل ؛ تحبه الرعيَّة ، وإما رجل منحه الله صحة في الجسم ، ورزانة في العقل ، وحباً للعلم ... وثروة من المالِ .... ولم يختلف النص السابع في جوهره ، عن النصوص السياسية السالفة الذكر (الأول) ، و (الرابع) ، (والخامس) ، في الإشادة بالانقلاب الدستوري العثماني ، الذي حصل في (١٠ تموز) عام (١٩٠٨ م) ، والعمل على اغتنام العرب لهذه الفرصة في حينها ، من أجل التعاضد السياسي ، والوحدة العربية الإسلامية ، والارتقاء بالتعليم ، والمدنية ، والنضج الفكري ، كما لم تختلف مقدمة هذا النص التحميدية ، وخاتمته الشعرية ، عن مقدمات العرب القديمة في خطبهم بعد الإسلام ، وخواتيمها ، وقد كانت معزَّزة بآيات من القرآن المجيد ، أو بالأبيات الشعرية السائرة ، أو بكليهما ، متناغمة في الأحوال كلها ، مع الموضوعات الرئيسة ، أو البارزة فيها ....

ثالثاً :

عمد أبو المحاسن إلى انتقاء ألفاظ معجمية تارة ، وأعجميَّة معرَّبة تارة ثانية ، وعامية تارة ثالثة ، وألفاظ عربية فصيحة ، مألوفة ، سلسة ، بين الجزالة والليونة ؛ مرة رابعة ، ومرامه في كل ذلك تأليف النصوص بما يبقي على قدر من فصاحة الألفاظ ، وبلاغة الخطاب ، ووضوح المقاصد ، والتأثير في المتلقي ، واستحصال القبول منه ، على أننا يجب أن لا نطمع كثيراً في مقدرة أديبنا على الانتقاء المتقن[١١٧] للمفردات المعبرة عن المضامين المتنوعة المتوخاة .... ولكن في المحصلة كان انتقاؤه جيداً ، ومقبولاً ، فمن الشواهد على استعماله الألفاظ الفصيحة ، التراثية ، المعجمية في نصوصه لتأكيد أهمية العلم حتى عند العرب القدماء ، قوله : قيل لأعرابي : « { أيسرك أن يكون لك وفر ، وأنت جاهل ؟! } ، فقال : { لا ! يجني عليَّ جهلي جناية ، يذهب ما عندي ، وأبقى جاهلاً أحمق ! } »[١١٨] .

ومن الشواهد على استعماله الألفاظ الأعجمية المعرَّبة ، لبيان رأيه في الواجب من الأعمال السياسية ، والاجتماعية ، والثقافية ، بعد إقرار الحريات في الدستور العثماني قبيل الحرب العالمية الأولى ؛ قوله : « وبحصولي على الرخصة منكم بوضع { بروغرام }[١١٩] » ، أي برنامج ، ومن المفردات الأعجمية الداخلة كذلك في الاستعمال العراقي وقتذاك : (الموزر)[١٢٠] ، وهو سلاح ناري ، كان يستخدم في نهاية القرن التاسع عشر ، وكثر استخدامه ابان الحرب العالمية الأولى . ومن الألفاظ الفصيحة ، المسبوكة سبكاً جيداً – في اعتقادنا – قوله : « فأهلاً بطلعة الحبيب الذي نشر محاسنه (الرقيب) »[١٢١] . ولكن أبا المحاسن ، لم يوفق – مثلاً – في اختيار بعض الكلمات المتعددة المعاني ، بما يعرف بـ (المشترك اللفظي) ، كي تعبر عن مضامين بعينها ، كالشم في التعبير عن الرؤية في قوله : « فلم نشم منها وميض (البرق) ، حتى أزهرت (روضة) الكمال »[١٢٢] ، وقوله – وقد أخطأ لغوياً - : « سؤالك – وفقك الله – للسعادة »[١٢٣] ، والصواب : (عن السعادة)، ولا نستبعد أن يكون ذلك من سقطات اليراع ، وسهو الناسخ ، إلا إذا احتملنا أنَّه قال : سؤالك – وفقك الله للسعادة - كذلك فإنَّ هناك كلمات مطموسة ، يمكن أن نجتهد في ملء فراغها بمفردات تناسب المعنى العام ، وتوائمه ، من نحو إضافة (أنقله) إلى النقاط الموضوعة بين القوسين في النص الآتي : « قلت أمسكه لي ساعة ، كي [.....] بعد العصيان إلى الطاعة »[١٢٤] ، وإضافة (طرق) ، و (إليه) إلى النقاط الموضوعة بين القوسين في النص الآتي : « ولا [....] سمعي ، ما يرتاح { .... } ... »[١٢٥] .

رابعاً :

واستناداً إلى سجيته اللغوية ، وطبعه الأدبي ، وثقافته المكتسبة ، فضلاً عن دوافعه الخاصة ، والعامة ، من وراء كتاباته ، يمكن تقسيم نصوص أبي المحاسن النثرية – بحسب أساليبها – على شعبتين أساسيتين ؛ الأساليب الإنشائية ، والأساليب الخبرية ، فمن أمثلة الأساليب الإنشائية في نصوصه ، ما استعمله من أسلوب الأمر (الإنشاء الطلبي) بلام الأمر[١٢٦] في إطراء حركة إصدار الصحف إبّان العقد الثاني من القرن العشرين في نصه : « فليفخر العراقي بنشر فصاحة (العرب) »[١٢٧] ، واستعماله أسلوب الاستفهام [١٢٨] ، وهو من أساليب الإنشاء الطلبي أيضاً في إظهار ثلاث دلالات ، مزجت مع بعضها ، يمكن للدارس أن يتعرفها ، وهي : (التحسر على ما آلت إليه أوضاع البلاد في المجالات كافة ، وعتاب من لم يغتنم فرصة نشر المعرفة التي أقرتها بنود الدستور العثماني الجديد ، وحث القادرين ، والمتنفذين ، على إصلاح الأمور ..) ، وكل ذلك في قوله : « ، أين الصفاء والاتحاد ؟!! والمحبة والوداد ؟!! أي مكتب فتح ؟!! أي مراد نجح ؟!! أي معارف نشرت ؟!! »[١٢٩] . ومن أمثلة الأساليب الخبرية [١٣٠] (المؤكدة ، وغير المؤكدة) ، وهي السائدة بكثرة وقوة ، في نصوصه النثرية الآنفة الذكر ، قوله حين أراد توجيه تحذير إلى الدول الغربية الحليفة ، بسبب أطماعها في الشرق ، وفي الوقت نفسه تذكير الدولة العثمانية بتضامن العرب معها ضد لمخططات الاستعمارية : « نرفض كل صلح يمس شرف الإسلام ، ونعتمد كل الاعتماد ، ونثق كمال الوثوق ، بأنا أمة عربية عثمانية ، مطيعة لها ، منقادة لأمرها »[١٣١] ، فالفقرة الأولى في النص خبر ابتدائي غير مؤكد ، والثانية مؤكدة بـ (كل الاعتماد) ، والفقرة الثالثة مؤكدة بنائب المفعول المطلق ، وبالناسخ (انَّ) مع ضمير المتكلم (نا) للجماعة .

خامساً : ولعبت علوم البيان دوراً ملحوظاً في بناء نصوص أبي المحاسن النثرية ، وبث الخيال فيها ، ففي التشبيه[١٣٢] ، كان قول أبي المحاسن وقد التجأ فيه إلى ما يشبه الأمثال : « فكنت في ذلك – على التحقيق – كالمبتل يشكو إلى الغريق »[١٣٣] ، وهذا يماثل القول المأثور : « كالمستجير من الرمضاء بالنار »[١٣٤]. وفي الكناية[١٣٥] ، قطع أبو المحاسن جازماً الرأي بوجوب وحدة العرب ، والمسلمين في نصه : « نخاطب الدولة العليَّة بلسان واحد ، وقلب مثله »[١٣٦] .
ووجد أبو المحاسن في الاستعارة المكنية[١٣٧] ، والمجازين[١٣٨] ؛ العقلي ، والمفرد المرسل اللغوي ، ضالته المنشودة ، في التعبير عن أغراضه الأدبية ، كالغزل – مثلاً – من نحو قوله : « من رمته سهام العيون ، فأصمت فؤاده ، وتيمته الخدود فأطالت لوعته وسهاده »[١٣٩] .

سادساً :

أقبل عصر النهضة الحديثة ، واللغة الرسمية المفروضة في الدواوين في العراق هي « التركية ، والمعنيون بالعربية هم رجال الدين الإسلامي .... وفي الإنشاء العربي ، أفراد منهم ... قد تأثروا بما انتهى إليهم من إنشاء الفترة المظلمة ، في موضوعاته .... وأساليبه ... كان أبلغ الهم فيه ، مصروفاً إلى تجميل العبارة ، وتزيين القالب ، والتزام السجع بقدر ما يسعه جهد الكاتب ، فلما اشتدَّ الشعور بالحاجة إلى نبث دفائن المدنية العربية ، وبث مرافق الحضارة الغربية ، واستثارت المطابع من دور الكتب ، الذخائر المجفوة في فنون الآداب ... أخذت كل طائفة تتأثر بنوع من الفكر ، والأسلوب »[١٤٠] . ويجدر بنا – إلحاقاً بما تقدم – أن نؤكد « أنَّ لكل غرض أسلوبه الذي يلائمه ، وأنه لا يوجد هناك أسلوب واحد معين يمكن أن نسميه الأفضل ، وكثيراً ما يهمل مؤرخو الأدب ، الاختلافات الواسعة في الأسلوب ، تبعاً للوظيفة التي يؤديها ، لذا فهم لا ينتبهون إلى السبب المنطقي لانتشار نمط معين من الأسلوب لفترة... »[١٤١] ، كانتشار الفنون البديعية في الأساليب العربية أوائل القرن العشرين ... وعلى غرار معظم كتاب تلك الحقبة ، حفلت نصوص أبي المحاسن النثرية بكثير من المحسنات اللفظية ، والمعنوية ، من نحو الاقتباس من القرآن الكريم ، والحديث النبوي الشريف ، والتضمين المنقول من الشعر العربي ، والأمثال العربية ، والحكايات المأثورة ، فضلاً عن السجع ، بما يشكل ظاهرة معتادة ، مألوفة في كتابات ذلك الوقت ، مقترنة بفنون بديعية[١٤٢] أخرى ، كالجناس والطباق ... على أنَّ أبا المحاسن كان ممن يركز في نصوصه النثرية على التأثير المتبادل[١٤٣] بين إيقاع الجملة من حيث تركيبها النحوي ، والمعنوي ، وإيقاع الجملة من حيث بنائها الصرفي ، وتناغمها الصوتي ، إذ لا يمكن فصل كلا الإيقاعين عن بعضهما ، ففي اقتباساته من القرآن الكريم ، أراد أبو المحاسن أن يأتي بآيات من الذكر الحكيم ، إما لتوكيد ما سبق ، أو لنفيه ، أو لبناء معنى جديد خاص ، يضاف إلى معاني الفقرات السابقة ، أو لتتمة معنى متقدم في الفقرة السابقة ، فمن الشواهد على توكيده مضمون الفقرة المتقدمة بنص قرآني كريم ، قوله : « واصطناع المعروف ؛ قولاً وفعلاً ، فإنه أقوى أسباب المحبة ، { لا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم }[١٤٤] »[١٤٥] ، ومن الشواهد على بنائه معنى خاصاً جديداً بنص قرآني كريم ، قوله : « إنَّ السعيد من أخلص لله دينه ، وبنى على أساس المعرفة يقينه ، فكان مصداقاً لقوله تعالى : { وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها }[١٤٦] »[١٤٧] فنتيجة الإخلاص لله ؛ السعادة ، ونتيجة السعادة ؛ الجنة ، وقوله ؛ متمماً معنى متقدماً بالإفادة من ألفاظ قرآنية عطرة : « فها نحن إخوان صدق ، على سرر متقابلين »[١٤٨] ، فقد تأثر بقوله تعالى : ((ونزعنا ما في صدورهم من غل إخواناً على سرر متقابلين))[١٤٩] . ولا يختلف مراد الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف عما تقدمت الإشارة إليه من مراد الاستشهاد بالقرآن الكريم عند أبي المحاسن في نصوصه النثرية ، من نحو قوله مستشهداً بجزء من حديث نبوي شريف يتمم معنى مهماً في النص : « والنهي عن المنكرات ، واجتناب الظلم الذي هو { ظلمات يوم القيامة }[١٥٠] ، فسيراً معشر الأحرار في مناهج الترقي ، وسموَّاً إلى معارج الشرف »[١٥١] . ولما كانت نزعة الشعر عند أبي المحاسن ، قوية ، وطاغية ، فليس من المستغرب أن نرى كثرة توشيحه نصوصه النثرية بأبيات شعرية له ، ولغيره ، من أعلام الأدب العربي القديم ، كالحطيئة (ت٤٥هـ) ، والمتوكل الليثي (ت٨٥هـ) ، وأبي فراس الحمداني (ت٣٥٧هـ) ، وأبي إسحق الصابي (ت٣٨٤هـ) ، وقطعاً لا يخلو حال التضمين بالشعر ، أو بالأمثال السائرة ، أو بالحكايات المعبرة ، عن حال الاقتباس من القرآن الكريم ، أو الحديث النبوي الشريف ، من تعزيز أقوال الكاتب المقصود ، بقرائن نصية سابقة ، وإضافة دلالات جديدة .. فمن النصوص الشعرية التي استشهد بها أبو المحاسن ضمن نثره في الثناء على من ينشر المعرفة ، والتعليم ، شطر بيت للحطيئة ، قال فيه : « لن يذهب العرف بين الله والناسِ »[١٥٢] ، وصدر البيت : « من يفعل الخير لا يعدم جوازيه » . واستشهاده – مثلاً – ببيتي المتوكل الليثي ، لحث الناس على الإفادة من الانقلاب الدستوري العثماني ، لأجل النهوض والترقي ، وإعادة أمجاد الأمة التليدة ؛ بالهمة ، والعمل ، لا بالقول ، والاتكال ، والخمول :

« إنا وإن كرمت أوائلنا لسنا على الأحسابِ نتكل
نبني كما كانت أوائلنا تبني ونفعل مثلما فعلوا »[١٥٣]

ومن شعره قوله مرتجزاً ، وداعياً إلى الاستعداد ، والجلد والحماسة :

« يا أمة التوحيد صمداً صمداً قد أحكم الأمر وعاد جداً »[١٥٤]

ومن استعانته بشيء من الأمثال العربية ، انتقاؤه نصاً لوصف من قبل الذلة ، ورغب عن الطموح ، ضمن قوله : « ومن العجيب أن بعض النفوس ، تهوى أن تبقى أمسيرة الاستبداد ، فلا تبارح وادي عوف – المثل { لا حرَّ بوادي عوف }[١٥٥] .....»[١٥٦] . وقد كانت الحكاية حاضرة في التمثيل النثري عند أبي المحاسن ، لغايات أشير إلى أهمها في مطلبي (الاقتباس ، والتضمين) ، من نحو قوله في السعيد بمؤازرة الكواكب له على رأي طائفة من الناس : « قال ملك الصين للاسكندر حين سأله عن سبب طلبه الصلح على ما هو عليه من الشوكة ، والاقتدار : [إني رأيتك سعيد الطالع ، موفقاً ، يساعدك العالم العلوي ، وعلمت أنَّ من قاوم الأفلاك ، والأقدار ، غُلِبَ] »[١٥٧] . ويبقى السجع ؛ الفن البديعي الأكثر دوراناً في كتابات القرن التاسع عشر ، وما قبله من حقب ، حتى غدا وعاءً حاضناً ، لكثير من المحسنات البديعية الأخرى ، كالجناس ، والطباق ، والترصيع ، والتورية ... وغيرها ... ، فمن النصوص النثرية الأدبية المستعمل فيها (السجع) ، نص لأبي المحاسن ، يعرِّج فيه على أهمية الحركة الدستورية العثمانية ، الاتحادية ، وقد جاء فيه : « يوم أدركت به الملّة مناها ، ونالت آمالها ، وشيَّدت مجدها وعلاها »[١٥٨] . ولما أراد أن يصف من وقع في حبائل الغرام ، جعل السجع في نصه النثري ، قاعدة تحمل الاستعارة المكنية ، والطباق ، فقال : « رب قلب أسرته الملاح ، وربَّ دمٍ أراقته الجفون السود بالبيض الصفاح »[١٥٩] . وهاهو يلجأ إلى الجناس – وهو من محسنات البديع اللفظية – في سبيل تصوير نصرته للخلافة العثمانية ، واستعداده للدفاع عن حمى الوطن ، والإسلام ، قائلاً : « نبذل النفوس والنفائس في نصرتها »[١٦٠] ، وقال في وضع آخر ، جامعاً (الجناس ، والطباق) بتناسب ، في وصف بعض أحوال العشاق : « هذه شيم العشاق الهائمين بالخدود والأحداق ، فإنهم يستعذبون العذاب ، ويستحلون مر جفاء الأحباب »[١٦١] .. وهكذا كانت في نصوص أبي المحاسن النثرية ، خصائص لغوية ، وأدبية ، وبلاغية ، تأرجحت في قيمتها بين السداد ، والحيوية ، والجمال ، تارة – وهي الأكثر – والإخفاق ، والتكلف ، والخطابية تارة أخرى – وهي الأقل – فنصوصه في هذه القيم الفنية ، لا تخرج كثيراً عن أطر الأدب عند معاصري أبي المحاسن ، والسابقين عليه ، كما لا يخرج تقويم نصوصه النثرية عن التقويمات التي وضعها النقاد لنثر تلك الحقبة ، وقد جاء هذا الجنس الأدبي – على عمومه – في المرتبة الثانية بعد الشعر عنده ...

الخاتمة :

إنَّ أهم النتائج التي خرج بها البحث يمكن تدوينها في الآتي :

إنَّ الأديب المرحوم الشيخ محمد حسن أبا المحاسن الكربلائي (١٨٧٦ – ١٩٢٦ م) ، يعد من كبار الشخصيات الثقافية ، والسياسية في العراق الحديث ، إذ إنه كان من رجال ثورة العشرين الوطنية الخالدة ، وأصبح وزيراً للمعارف في الوزارة العسكرية الأولى (١٩٢٣ م) ، لذا فإنَّ تسليط الضوء على نتاجه الأدبي ، يكشف عن جانب كبير من آلام الشعب ، وآماله ، لأنَّ الأديب كان لسان حال الشعب ، والمعبر عن طموحاته ، في وقت لم تكن فيه وسائل الإعلام ، وأجهزة الاتصال ، متاحة – مثلما هي عليه الآن - .

وعلى الرغم من ان ديوان أبي المحاسن ، طبع سنة (١٩٦٢ م) ، وأعيد طبعه سنة (٢٠٠٠ م) ، إلا إن الباحثين اطلعا على نسخة مخطوطة منه ، فيها عدد كبير من النصوص الشعرية ، والنثرية ، خلا المطبوع منها ، وقد خصا نثر أبي المحاسن ببحثهما هذا ، إذ وقفا عند سبعة نصوص توزعت بين السياسة ، والثقافة ، والفلسفة ، والترفيه ، وهي – في الغالب – مما كتبه أبو المحاسن في الحقبة المحصورة بين إعلان الدستور العثماني سنة (١٩٠٨ م) ، ودخول البريطانيين العراق ، وانسحاب العثمانيين منه ، وقد ظهر أنَّ موقف أبي المحاسن من الدولة العثمانية ، يضارع موقف غيره من الأدباء العرب ، والمسلمين ، إذ يرى أنَّ هذه الدولة ، هي دولة الإسلام التي يجب على المسلمين حمايتها ، والذود عن حدودها ، وإن الدستور العثماني كفيل برفع الحيف الذي أصاب العرب قبل إعلانه . وقد استلهم أبو المحاسن ؛ القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، في نصوصه تلك ، ولم يحرمها كذلك من الإفادة من التراث الأدبي العربي ؛ الشعري ، والنثري ... وفي النصوص كذلك ، صور فنية ، تضمنت فنوناً بلاغية ، تدل على براعة الأديب بفنون البلاغة العربية ، من معانٍ ، وبيانٍ ، وبديعٍ ، ولعلنا لا نغالي إذا قلنا : إنَّ أبا المحاسن ساير معاصريه من الأدباء في تلك الحقبة ، من الإسراف في الفنون البديعية ، تماماً كما ماثلهم في ترتيب نصوصه ، وأفكاره ، ومواقفه ، إزاء المؤثرات العامة ، السياسية ، والثقافية على وجه أخص ... وقد اعتمد الباحثان في البحث على عدد من المصادر الأدبية ، والتاريخية ، كان في مقدمتها ديوان أبي المحاسن بنسختيه المطبوعة ، والمخطوطة ، ويأتي بحثهما هذا ليتمم بحثاً سابقاً لهما ، تناولا فيه بالدراسة ما لم ينشر من شعر أبي المحاسن ، وأخيراً نقول : (ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا)[١٦٢] .

وآخر دعوانا (أن الحمد لله رب العالمين)[١٦٣]..

هوامش البحث :

(١) ينظر في التعريف بأبي المحاسن :
- دراسات في الشعر العراقي الحديث / ١٢٧ – ١٣٥ .
- ديوان أبي المحاسن الكربلائي / مبحث ترجمة صاحب الديوان .
- محمد حسن أبي المحاسن ؛ دراسة في حياته واتجاه شعره السياسي(*).
- معجم الشعراء العراقيين المتوفين / ٣٢٢ – ٣٢٥ .
- موسوعة أعلام العراق في القرن العشرين / ١ / ١٨٦ .

(٢) ينظر / * الثورة العراقية الكبرى / ١٤٩ ، ٣١٤ ، ٣٣٦ ، ...
- ثورة ١٩٢٠ الجذور السياسية والفكرية / ٣٥٣ ، ٣٧٥ ...
- الحقائق الناصعة في الثورة العراقية / ١١٠ ، ٢٢٤ ، ...
- كربلاء في ثورة العشرين / ٨٦ ، ٨٧ .

(٣) ينظر / تاريخ الوزارات العراقية / ١ / ١٩٢ .

(٤) نهضة العراق الأدبية / ٣٤٩ .

(٥) نهج البلاغة / ١٤٩ .

(٦) محمد حسن أبي المحاسن ، دراسة في حياته واتجاه شعره السياسي/ ٥٣ .

(٧) م . ن / ٥٧ .

(٨) الشيخ كاظم بن صادق بن أحمد الحائري المعروف بـ (الهر) (١٢٥٧ – ١٣٣٣ هـ) ، أديب ، وفقيه ، له ديوان شعر مخطوط ، جله في النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وأهل بيته الأطهار (عليهم السلام) . ينظر / البيوتات الأدبية في كربلاء / ٥٤٢ – ٥٤٥ ، والطليعة من شعراء الشيعة / ٢ / ١٣٣ – ١٣٦ .

(٩) السيد عبد الوهاب بن السيد علي بن السيد سليمان آل الوهاب الموسوي الحائري (١٢٩١ – ١٣٢٢ هـ) ، شاعر ، وفقيه ، « شعره في غاية السلاسة ، وقوة التعبير ، ودقة المعاني » ، ينظر / شعراء من كربلاء / ١ / ٢٦٨ – ٢٧٦ ، و النخبة من أدباء كربلاء / ١٥ – ٢٠ .

(١٠) موسوعة أعلام العراق في القرن العشرين / ١ / ١٨٦ .

(١١) الثورة العراقية الكبرى / ٣٣٥ .

(١٢) العلامة الشيخ محمد تقي الشيرازي الحائري (ت ١٣٣٨ هـ) ، هاجر إلى العراق شاباً لطلب العلم ، أقام في كربلاء ، ودرس على علمائها ، وانتقل إلى سامراء لاستكمال تحصيله العلمي ، ثم عاد إلى كربلاء عالماً يرجع إليه المسلمون ، وتتجه إليه أنظار العراقيين الرافضين للاحتلال البريطاني ، أفتى بوجوب المطالبة بالحقوق الوطنية ، فكانت ثورة العشرين الخالدة ، انتقل إلى جوار ربه الكريم يوم ١٣ / ٨ / ١٩٢٠ م ، ودفن في الصحن الحسيني المطهر بكربلاء . ينظر / معارف الرجال في تراجم العلماء والأدباء / ٢ / ٢١٥ .

(١٣) شعراء من كربلاء / ١ / ٢٨٣ .

(١٤) ديوان أبي المحاسن الكربلائي / ترجمة صاحب الديوان / ز .

(١٥) محمد حسن أبي المحاسن ، دراسة في حياته واتجاه شعره السياسي / ٥٨ .

(١٦) م . ن / ٥٦ .

(١٧) ينظر / تاريخ الوزارات العراقية / ١ / ١٩٢ .

(١٨) ثورة ١٩٢٠ في الشعر العراقي / ١٢٥ .

(١٩) نشر البحث في العدد (١٣) / المجلد (٣) / من مجلة جامعة كربلاء الصادر في شهر كانون الأول / ٢٠٠٥ م / ٦٩ – ١٠٣ .

(٢٠) ينظر/ محمد حسن أبي المحاسن، دراسة في حياته واتجاه شعره السياسي/٥٧ .

(٢١) طبع ديوان أبي المحاسن الكربلائي سنة ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م ، وأعيد طبعه سنة ٢٠٠٠ م مع الدراسة التي أعدها حفيده الباحث نوري كامل محمد حسن (محمد حسن أبي المحاسن ، دراسة في حياته واتجاه شعره السياسي) .

(٢٢) ينظر / البيان والتبيين / ١ / ٢٨٧ .

(٢٣) ينظر / م . ن / ١ / ٢٤١ .

(٢٤) م . ن / ١ / ٢٨٧ .

(٢٥) ينظر / المعمرون والوصايا / ٨٨ ، وقس بن ساعدة الإيادي ، حياته ، خطبه ، شعره .

(*) هكذا ورد عنوان الكتاب ، ولا نعلم مسوغاً لجر (أبي) فإنَّ من حقها الرفع ، والله أعلم .

(٢٦) طبقات الشعراء / ٢٨ .
(٢٧) العيد الملي : أي العيد القومي ، وذلك أنَّ كلمة Milli (ملي) تعني باللغة التركية : قومي ، أو شعبي ، ينظر / المعجم التركي العربي / ٣ / ٣٦٢ .
(٢٨) جمال بيك : المعروف بالسفاح ، من الزعماء العثمانيين الاتحاديين الكبار ، قدم بغداد والياً في ٢٦ / ٨ / ١٩١١ م ، وغادرها مستقيلاً في ١٧ / ٨ / ١٩١٢ م ، ينظر / لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث / ٣ / ١٨٥ وما بعدها .
(٢٩) يبدو أن الاحتفال كان سنة (١٩١٢ م) ، إذ كان في يوم ١٠ /تموز / ١٩٠٨ قد رضخ السلطان عبد الحميد الثاني ، لضغوط الجيش العثماني ، وأعاد العمل بالقانون الأساسي ، فصارت الدولة العثمانية ، دستورية نيابية . ينظر / المجلس التأسيسي العراقي / ١ / ١٥ .
(٣٠) الموزر : سلاح حربي ناري ، كثر استخدامه إبان الحرب العالمية الأولى ، ولعله تعريب لكلمة (Mortar) ، بمعنى : مدفع هاون .
(٣١) الأردكاه : لعلها مرادفة لكلمة (المعسكر) ، ولا يبعد أنها تعريب لكلمة (ilerlemek) وهي كلمة تركية تدل على التقدم أو الزحف / ينظر / المعجم التركي العربي / ٢ / ٢٧٠ .
(٣٢) الرياض : جريدة أسبوعية ، عربية اللهجة ، أدبية المشرب ، صاحب امتيازها : جار الله الدخيل ، ومديرها المسؤول : سليمان الدخيل ، تلميذ العلامة محمود شكري الآلوسي / ظهرت في بغداد يوم ٧ / ١ / ١٩١٠ م ، ينظر / الموسوعة الصحفية العراقية / ٢٥ .
(٣٣) تنظر القصيدة في ديوان أبي المحاسن الكربلائي / ٢٧٧ – ٢٨٢ ، وأولها :

[من الخفيف]

عبقت نفحة التهاني الذكيَّة في رياض البشائر المليَّة

(٣٤) النتفة من قصيدة لأبي فراس الحمداني ، يذكر فيها إيقاعه ببني كعب ، وهو على مقدمة جيش سيف الدولة ، و كان قد حسن بلاؤه في تلك الوقعة / ينظر / يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر / ١ / ٦٣ .
(٣٥) السيد محمد علي (هبة الدين) بن السيد الحسين العابد بن محسن الصراف بن المرتضى ، ولد بمدينة سامراء سنة ١٣٠١ هـ - ١٨٨٤ م ، وتوفي سنة ١٣٨٦هـ - ١٩٦٧ م في الكاظمية المقدسة ، كان عالماً مجتهداً ، ومحققاً مفسراً ، له مواقف مشرفة في ثورة العشرين الخالدة ، تولى وزارة المعارف العراقية في العهد الملكي سنة (١٩٢١ م) .. له عدد من المؤلفات المطبوعة منها : الهيأة والإسلام ، نهضة الحسين (عليه السلام) ، أدعية القرآن . أصدر في سنة (١٣٢٨ هـ) مجلة (العلم) / تنظر ترجمته في / السيد هبة الدين الحسيني ، آثاره الفكرية ، ومواقفه السياسية / و / معجم رجال الفكر والأدب في النجف / ٢٥٨ .
(٣٦) العلم : أول مجلة عراقية اتخذت من العلم موضوعاً ، « وأول مجلة خاصة ، فردية ، صدرت بعد الانقلاب الدستوري » ، أصدرها في النجف السيد محمد علي هبة الدين الحسيني بتاريخ ٢٩ / ٣ / ١٩١٠ م / ينظر / كشاف الجرائد والمجلات العراقية / ٢٩٢ / و / الموسوعة الصحفية العراقية / ٣٦ .
(٣٧) التقريض أو التقريظ : مدح الإنسان وهو حي ، ينظر / تاج العروس (قرض) و (قرظ) ١٩ / ١٩ ، و ٢٠ / ٢٥٩ ، ولا تكاد هذه المفردة تستعمل – اليوم – إلا لتدل على امتداح الجهد الثقافي ؛ العلمي والأدبي .
(٣٨) وردت في الأصل (العلى) والصواب ما أثبتناه .
(٣٩) الأقواس من الأصل ، وما في داخلها أسماء عدد من الصحف والمجلات المحلية والعربية الصادرة مطلع القرن العشرين .
(٤٠) البيتان في ديوان أبي المحاسن الكربلائي / ٢٧٤ .
(٤١) التاريخ الشعري في ديوان الشاعر نفسه / ١٢٤ – ١٢٥ .
(٤٢) الأبيات الشعرية التي لم يشر إلى قائلها ، يغلب على الظن أنها للكاتب الشاعر نفسه (أبي المحاسن) ، ولو حصل اليقين بذلك لألحقناها بديوانه في بحثنا المشار إليه آنفاً .
(٤٣) وِرْد ؛ لعلها وَورد .
(٤٤) المَوائر : النافرة المفزوعة / ينظر / القاموس المحيط / مادة (وأر) .
(٤٥) الموائل : من الموئل : موضع النجاة / ينظر / المصدر نفسه / مادة (وأل) .
(٤٦) كلمات مطموسة ، عدتها – تقريباً – ست كلمات .
(٤٧) البيتان مما اختاره الثعالبي في كتابه من شعر أبي اسحق الصابي ، وروي الأول : لست أشكو هواك يا من هواه كل يوم يروعني منه خطب
ينظر / يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر / ٢ / ٣٠٤ .
(٤٨) فراغ في الصل موضع كلمة وضعناها لاقتضاء السياق .

(٤٩) الوفر : « الغنى ، والوفر من المال والمتاع : الكثير الواسع الذي لم ينقص منه شيء » تاج العروس من جواهر القاموس / مادة (وفر) .
(٥٠) في كتاب أخبار الظراف والمتماجنين : ١٥٩ رواية عن ألأصمعي تشبه ما رواه أبو المحاسن عن ألأعرابي إلى حد كبير ..

(٥١) السرار من الشهر : « آخر ليلة منه » / المصدر نفسه / مادة (سرر) .
(٥٢) المذيق : « اللبن الممزوج بالماء ، وقد مذقه يمذقه مذقاً : خلطه فامتذق ... ورجل مذق : كذاب » المصدر نفسه / مادة (مذق) .

(٥٣) الطرق : « الماء الذي خوضته الإبل ، وبوَّلت فيه » القاموس المحيط / مادة (طرق) .
(٥٤) وردت في الأصل (أيقض) بالضاد المعجمة ، ولعل ذلك من سهو قلم الناسخ والصواب ما أثبتناه ، وهو بمعنى نبَّه .

(٥٥) عجز بيت للحطيئة ، وصدره : من يفعل الخير لا يعدم جوازيه ....
وهو البيت الخامس عشر من قصيدته التي مطلعها :
« والله ما معشر لاموا امرءاً جنباً من آل لأي بن شماس بأكياسِ»
ديوان الحطيئة / برواية وشرح ابن السكيت / ٤٤ .
(٥٦) ..... (النقاط) كلمة مطموسة ، لم نستطع قراءتها .
(٥٧) سورة هود / الآية ٨٨ .
(٥٨) سورة البقرة / الآية ٢١٣ .

(٥٩) رووا عن الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ؛ أنه قال : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » / مكارم الأخلاق / ١ .
(٦٠) وردت في الأصل (أهنيكم) ، والصواب ما أثبتناه .
(٦١) فراغ في الأصل بمقدار كلمة وضعناها لاقتضاء السياق .
(٦٢) فراغ في الأصل بمقدار كلمة وضعناها لاقتضاء السياق .
(٦٣) وردت في الأصل « في اقتناء العلاء » ، والصواب ما أثبتناه .

(٦٤) « بأنوار وأضواء العلوم المشرقة » ، الأصوب : « بأنوار العلوم المشرقة وأضوائها .. » ، ومثلها في ص١٤ " من طيب خلائق وشمائل الأحرار " ، والأصوب : " من طيب خلاق الأحرار وشمائلهم " .
(٦٥) في ألصل : (الهيئة) .
(٦٦) هكذا ورد في الأصل ، ولم يتضح لنا معنى جلي من ذلك التعبير ، ولعلَّ شيئاً سقط من الناسخ أو حدث تصحيف أو تحريف والله أعلم .

(٦٧) السيد عبد الحسين بن السيد علي الكليدار ، أي : السادن ، سادن الروضة الحسينية المطهرة من (١٣١٨ – ١٣٤٩ هـ) توفاه الله سنة (١٣٨٠ هـ) ، ترك عدداً من المؤلفات ، ترجم له السيد محمد هادي محمد سعيد ال طعمة في / الكراسة البهية في أحوال وأنساب السادة آل طعمة العلوية / ٢٦ / وذكره الحوماني في كتابه / بين النهرين / ٧٦ وما بعدها ، وتنظر ترجمته في : موسوعة أعلام العراق في القرن العشرين : ٣ / ١٤٦ .

(٦٨) وردت في الأصل (الرئيسية) ، والصواب ما أثبتناه .
(٦٩) « بروغرام » Program تعني (برنامج) .
(٧٠) في هذا إشارة إلى قوله تعالى : ((ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أنَّ الأرض يرثها عبادي الصالحون)) / سورة الأنبياء / الآية ١٠٥ .
(٧١) هكذا ورد في الأصل ، ويمكن أن يكون :سؤالك – وفقك الله – عن السعادة .
(٧٢) سورة هود / الآية ١٠٨ .
(٧٣) وردت كلمة (أصفى) في الأصل بالصاد المهملة ، ولعله تصحيف .
(٧٤) هكذا ورد في الأصل ، فيكون (الرعية)ى فاعلاً لفعل لازم ، ويمكن أن يكون الفعل (فأورد) فيكون الرعية مفعولاً به لفعل متعد والله أعلم .

(٧٥) وردت في الأصل كلمة (صباح) – مرفوعة – ولعل ذلك من سهو قلم الناسخ .
(٧٦) « لا حر بوادي عوف » ، مثل يضرب « للرجل يسود القوم ، فلا ينازعه أحد منهم سيادته » / جمهرة الأمثال / ٢ / ٤٠٦ .
(٧٧) سورة فصلت / الآية ٣٤ .
(٧٨) جزء من حديث نبوي شريف ، رواه أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت٢٦١ هـ) عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه / ينظر / صحيح مسلم / ١١٠٢ ، ورواه أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني (ت٣٢٩ هـ) عن الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليهما السلام) / ينظر / أصول الكافي / ٢ / ٣٣٢ .
(٧٩) البيتان مما اختاره أبو تمام من عيون الشعر العربي في / ديوان الحماسة / ٥٨٧ / والبيتان برواية أخرى ينسبان لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب (ت ١٣١ هـ) في / شعر عبد الله بن معاوية / ٦٣ / كما روي البيتان برواية أخرى للمتوكل الليثي (ت ٨٥ هـ) في / شعر المتوكل الليثي / ٢٧٦ .
(٨٠) استلهم الأديب أبو المحاسن – في هذا الموضع – قوله تعالى : " وحيل بينهم وبين ما يشتهون " سورة سبأ الآية : ٥٤ .
(٨١) الأرجوزة في ديوان أبي المحاسن الكربلائي / ٢٨٩ .
(٨٢) ينظر – مثلاً – المصدر نفسه / ٩٠ – ٩٢ ، ١٧٧ ، ٢١٧ ..
(٨٣) ينظر – مثلاً – الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث / ١٦ / و / الاتجاه القومي في الشعر العربي الحديث / ٣١ ، ٣٩ .
(٨٤) سورة النساء / الآية ٥٩ .
(٨٥) السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٤٢ – ١٩١٥ م) حكم الدولة العثمانية ما بين ١٨٧٦ – ١٩٠٩ م ، حصل في عهده الانقلاب الدستوري سنة ١٩٠٨ م ، وعندما حاول القيام بثورة مضادة في شهر نيسان ١٩٠٩ م عزل عن العرش ونفي من العاصمة . ينظر / موسوعة التاريخ الحديث / ١ / ٢٠ – ٢١ .
(٨٦) المجلس التأسيسي العراقي / ١ / ١٥ .
(٨٧) حول القومية العربية / ٣٢٢ .
(٨٨) الصحافة العراقية واتجاهاتها / ١٤٣ و ما بعدها .
(٨٩) « التورية أن يذكر المتكلم لفظاً مفرداً له معنيان حقيقيان ، أو حقيقة ومجاز أحدهما قريب ، ودلالة اللفظ عليه ظاهرة ، والآخر بعيد ، ودلالة اللفظ عليه خفية ، فيريد المتكلم المعنى البعيد ويوري عنه بالمعنى القريب فيتوهم السامع مع أول وهلة أنه يريد القريب وليس كذلك ، ولذلك سمي هذا الفن إيهاماً ..» معجم المصطلحات البلاغية وتطورها / ٢ / ٣٨٣ .
(٩٠) ينظر / صحافة العراق / ١ / ٤١ .
(٩١) ينظر / تطور النظام الصحفي في العراق / ١٩ .
(٩٢) الموسوعة الصحفية العراقية / ٢٣ .
(٩٣) م . ن / ٢٤ .
(٩٤) م . ن / ٢٥ .
(٩٥) تنظر المقامة في / شرح مقامات الهمذاني / ١١٢ .
(٩٦) النثر الفني في القرن الرابع / ١ / ١٦٢ .
(٩٧) بديع الزمان الهمذاني رائد القصة العربية والمقالة الصحفية / ٢٦١ .
(٩٨) ينظر / الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية / ٧٠ .
(٩٩) لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث / ٣ / ٢٦٢ .
(١٠٠) السيد محمد سعيد بن السيد محمود الحسني الحبوبي (ت ١٩١٦ م) ، فقيه ، أديب ، مجاهد ، له ديوان شعر مطبوع ، وصف بـ (فقيه الشعراء ، وشاعر الفقهاء) . ينظر / معجم رجال الفكر والأدب في النجف / ١١٨ / و / ديوان السيد محمد سعيد الحبوبي / مقدمة عبد الغفار حسين الحبوبي / ١٩ – ١٤٢ .
(١٠١) السادن : خادم الكعبة المشرفة ، وانتقل استعمالها بعد ذلك لتدل على من يشرف على الرياض المقدسة التي تضم الأولياء والصالحين / ينظر / الصحاح / مادة (سدن) .
(١٠٢) ينظر – مثلاً – تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون / ١١٦ ، ١٢٣ ، ٣٦٣ ، ٦١٥ ..
(١٠٣) ينظر / البلاد العربية والدولة العثمانية / ١٠٤ وما بعدها .
(١٠٤) لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث / ٣ / ١٦٣ .
(١٠٥) تنظر – مثلاً – بعض أوجه العلاقة بين الأدب ، والتاريخ في / البحث الموسوم بـ (القيمة الأدبية في كتاب الكامل في التاريخ) للدكتور عبد الكريم توفيق العبود / من بحوث ندوة أبناء الأثير / ١٨٥ .
(١٠٦) ينظر / تاريخ الأدب العربي الحديث / ٢٤ .

(١٠٧) ينظر – مثلاً – رأي الدكتور محمد غنيمي هلال في مقدمة / الأدب المقارن / ب .
(١٠٨) ينظر جانب من التحليل والرؤى في موضوع المؤثرات غير الأدبية ضمن / مقدمة الأستاذ منير القاضي / لكتاب / تاريخ علماء المستنصرية / لناجي معروف / ١٠ .
(١٠٩) في النص الأول من نصوص أبي المحاسن النثرية .
(١١٠) في النص نفسه من نصوص أبي المحاسن النثرية .
(١١١) في النص الثاني من نصوص أبي المحاسن النثرية .
(١١٢) ينظر / النص الثالث من نصوص أبي المحاسن النثرية .
(١١٣) ينظر / في نقد النثر وأساليبه .
(١١٤) تنظر النصوص السابقة / وعن حال كربلاء التعليمي – على وجه التحديد – ينظر / النص الرابع من نصوص أبي المحاسن النثرية .
(١١٥) ينظر / النص الأول من نصوص أبي المحاسن النثرية ، وينظر البيتان في / يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر / ١ / ٦٣ .
(١١٦) النص القرآني : ((والله يهدي من يشاء ..)) سورة البقرة / الآية ٢١٣ .
(١١٧) تنظر شرائط اللفظة الفصيحة – مثلاً – في جواهر البلاغة ؛ في المعاني والبيان ، والبديع / ٤ .
(١١٨) في النص الرابع من نصوص أبي المحاسن النثرية .
(١١٩) في النص الخامس من نصوص أبي المحاسن النثرية .
(١٢٠) ينظر / النص الأول من نصوص أبي المحاسن النثرية .
(١٢١) في النص الثاني من نصوص أبي المحاسن النثرية .
(١٢٢) في النص نفسه .
(١٢٣) في النص السادس من نصوص أبي المحاسن النثرية .
(١٢٤) في النص الثالث من نصوص أبي المحاسن النثرية .
(١٢٥) في النص الخامس من نصوص أبي المحاسن النثرية .
(١٢٦) ينظر أسلوب الأمر بلام الأمر ، وما يخرج إليه من دلالات ضمن أساليب الإنشاء الطلبي في / البلاغة العربية / ٨٨ .
(١٢٧) في النص الثاني من نصوص أبي المحاسن النثرية .
(١٢٨) ينظر أسلوب الاستفهام ، وما يخرج إليه من دلالات ضمن أساليب الإنشاء الطلبي في / البلاغة العربية / ٩٤ .
(١٢٩) في النص الرابع من نصوص أبي المحاسن النثرية .
(١٣٠) الأسلوب الخبري : هو أن تحتمل الجملة الخبرية (الصواب ، أو عدمه) لذاتها ، لا إلى ما تنسب إليه ، وهي بذلك خلاف الجملة ذات الأسلوب الإنشائي الطلبي / وعليه ؛ تنظر الأساليب الخبرية ، وأضربها وما تخرج إليه من دلالات في / البلاغة العربية / ٧٨ – ٨٤ .
(١٣١) في النص الأول من نصوص أبي المحاسن النثرية .
(١٣٢) ينظر التشبيه وأقسامه ، وأركانه ، في / جواهر البلاغة في المعاني ، والبيان ، والبديع / ٢٥٥ – ٢٧٥ .
(١٣٣) في النص الثالث من نصوص أبي المحاسن النثرية .
(١٣٤) نص المثل الشعري :
« المستجير بعمرو عند كربتــه كالمستجير من الرمضاء بالنارِ »
ينظر / فصل المقال في شرح كتاب الأمثال / ٣٧٧ .
(١٣٥) ينظر الكناية ، وأركانها ، في / جواهر البلاغة في المعاني ، والبيان ، والبديع / ٣٤٥ – ٣٥٤ .
(١٣٦) في النص الأول من نصوص أبي المحاسن النثرية .
(١٣٧) تنظر تفصيل الحديث عن الاستعارة ، وأضربها في / جواهر البلاغة في المعاني ، والبيان ، والبديع / ٣٠٥ – ٣١٠ .
(١٣٨) ينظر الكلام على المجازين ؛ العقلي ، والمفرد المرسل اللغوي بعلاقاتهما في : المرجع نفسه / ٢٩٠ – ٣٠٠ .
(١٣٩) في النص الثالث من نصوص أبي المحاسن النثرية .
(١٤٠) المدخل في تاريخ الأدب العربي / ٢٥٣ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ .
(١٤١) في نقد النثر ، وأساليبه / ١٢ .
(١٤٢) تنظر المحسنات اللفظية والمعنوية ، في علوم البديع في البلاغة العربية / ٢٥٠ – ٣٠٠ .
(١٤٣) ينظر في نقد النثر ، وأساليبه / ٩١ .
(١٤٤) سورة فصلت / الآية ٣٤ .

(١٤٥) في النص السابع من نصوص أبي المحاسن النثرية .
(١٤٦) سورة هود / الآية ١٠٨ .
(١٤٧) في النص السادس من نصوص أبي المحاسن النثرية .
(١٤٨) في النص الأول من نصوص أبي المحاسن النثرية .
(١٤٩) سورة الحجر : الآية ٤٧ .
(١٥٠) جزء من حديث نبوي شريف ، رواه أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت٢٦١ هـ) عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه / ينظر / صحيح مسلم / ١١٠٢ ، ورواه أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني (ت٣٢٩ هـ) عن الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليهما السلام) / ينظر / أصول الكافي / ٢ / ٣٣٢ .
(١٥١) في النص السابع من نصوص أبي المحاسن النثرية .
(١٥٢) ديوان الحطيئة ، برواية وشرح ابن السكيت / ٤٤ / علماً أن نص الحطيئة المذكور موجود في / في النص الرابع من نصوص أبي المحاسن النثرية .
(١٥٣) شعر المتوكل الليثي / ٢٧٦ ، علماً أن البيتين موجودان في / في النص السابع من نصوص أبي المحاسن النثرية .
(١٥٤) ديوان أبي المحاسن الكربلائي / ٢٨٩ ، علماً أن بيت الرجز هذا موجود في / في النص السابع من نصوص أبي المحاسن النثرية .
(١٥٥) وأصل المثل : (لا حر بوادي عوف) / يضرب « للرجل يسود القوم ، فلا ينازعه أحد منهم سيادته » / جمهرة الأمثال / ٢ / ٤٠٦ .
(١٥٦) في النص السابع من نصوص أبي المحاسن النثرية .
(١٥٧) في النص السادس من نصوص أبي المحاسن النثرية .
(١٥٨) في النص الأول من نصوص أبي المحاسن النثرية .
(١٥٩) في النص الثالث من نصوص أبي المحاسن النثرية .
(١٦٠) في النص الأول من نصوص أبي المحاسن النثرية .
(١٦١) في النص الثالث من نصوص أبي المحاسن النثرية .
(١٦٢) سورة البقرة / الآية ٢٨٦ .
(١٦٣) سورة يونس / الآية ١٠ .

المصادر والمراجع :

١. القرآن الكريم .
٢. الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث / أنيس الخوري المقدسي / ط٢ / بيروت / ١٩٦٠ .
٣. الاتجاه القومي في الشعر العربي الحديث / د. عمر الدقاق / بيروت / د . ت .
٤. أخبار الظراف والمتماجنين / عبد الرحمن بن الجوزي / تقديم وتعليق السيد محمد بحر العلوم / ط٢ / النجف / ١٩٦٧ م .
٥. الأدب المقارن / د. محمد غنيمي هلال / ط٥ / بيروت .
٦. أوراق ضائعة من ديوان أبي المحاسن الكربلائي / بحث منشور في العدد (١٣) من مجلة جامعة كربلاء الصادر في شهر كانون الأول / ٢٠٠٥ م / إعداد : د. عبود جودي الحلي ، و د. محمد عبد الحسين الخطيب .
٧. بحوث ندوة أبناء الأثير / مطبعة كلية الآداب / جامعة الموصل / ١٩٨٢ م .
٨. بديع الزمان الهمذاني ؛ رائد القصة العربية والمقالة الصحفية / د. مصطفى الشكعة / القاهرة / ١٩٥٦م .
٩. البلاد العربية والدولة العثمانية / ساطع الحصري / ط٣ / بيروت / ١٩٦٥ .
١٠. البلاغة العربية / د. أحمد مطلوب / بغداد / ١٩٨٠ م .
١١. البيان والتبيين / أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ / تحقيق عبد السلام محمد هارون / ط٤ / بيروت / د. ت .
١٢. بين النهرين / من الحوماني إلى العلايلي / بيروت / ١٩٤٦ .
١٣. البيوتات الأدبية في كربلاء / موسى الكرباسي / كربلاء / ١٩٦٨ .
١٤. تاج العروس من جواهر القاموس / السيد محمد المرتضى الزبيدي / مطبعة حكومة الكويت / ج١٢ / تحقيق مصطفى حجازي / و ج١٤ / تحقيق عبد الحليم الطحاوي / وج٢٦ / تحقيق عبد الكريم الغرباوي .
١٥. تاريخ الأدب العربي الحديث / د. جميل سعيد و د. عبد الرزاق محيي الدين وأحمد حامد الشربتي / ط١ / بغداد / ١٩٤٩ م .

١٦. تاريخ علماء المستنصرية / ناجي معروف / بغداد / ١٩٥٩ م .
١٧. تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون / عمر فروخ / ط٢ / بيروت / ١٩٧٩ م .
١٨. تاريخ الوزارات العراقية / السيد عبد الرزاق الحسني / ط٧ / بغداد / ١٩٨٨ م .
١٩. تطور النظام الصحفي في العراق ١٩٥٨ – ١٩٨٠ م / د. وائل عزت البكري / بغداد / ١٩٩٤ م .
٢٠. ثورة ١٩٢٠ الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية العربية الاستقلالية في العراق / د. وميض جمال نظمي / ط٢ / بغداد / ١٩٨٥ م .
٢١. الثورة العراقية الكبرى / السيد عبد الرزاق الحسني / ط٦ / بغداد / ١٩٩٢ م .
٢٢. جمهرة الأمثال / أبو هلال العسكري / تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش / ط٢ / بيروت / ١٩٨٨ م .
٢٣. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع / السيد أحمد الهاشمي / ط١٢ / القاهرة / ١٩٦٠ م .
٢٤. الحقائق الناصعة في الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ ونتائجها / فريق المزهر آل فرعون / ط٢ / بيروت / ١٩٩٥ م .
٢٥. حول القومية العربية / ساطع الحصري / ط١ / بيروت / ١٩٦١ م .
٢٦. دراسات في الشعر العراقي الحديث / سلمان عبد الهادي آل طعمة / بيروت / ١٩٩٣ م .
٢٧. ديوان أبي المحاسن الكربلائي / تحقيق محمد علي اليعقوبي / ط١ / النجف / ١٣٨٣ هـ ، وأعاد الباحث نوري كامل محمد حسن نشر الديوان سنة ٢٠٠٠ م ملحقاً بدراسته الموسومة بـ (محمد حسن أبي المحاسن ، دراسة في حياته واتجاه شعره السياسي) .
٢٨. ديوان الحطيئة / رواية وشرح ابن السكيت (٢٤٦هـ) / تحقيق د. نعمان محمد أمين طه / ط١ / القاهرة / ١٩٨٧ م .
٢٩. ديوان الحماسة / أبو تمام حبيب بن أوس الطائي / تحقيق د. عبد المنعم أحمد صالح / الناشر : وزارة الثقافة والإعلام / بغداد / ١٩٨٠ م .
٣٠. ديوان السيد محمد سعيد الحبوبي / إعداد : عبد الغفار الحبوبي / بغداد / ١٩٨٠ م .
٣١. السيد هبة الدين الحسيني ، آثاره الفكرية ومواقفه السياسية / محمد باقر أحمد البهادلي / ط١ / بغداد / ٢٠٠٠م .
٣٢. شرح مقامات الهمذاني / دار التراث / بيروت / ١٩٦٨ م .
٣٣. شعراء من كربلاء / سلمان هادي آل طعمة / النجف / ١٩٦٦ .
٣٤. شعر عبد الله بن معاوية / جمعه : عبد الحميد الراضي / بيروت / ١٩٧٦ م .
٣٥. شعر المتوكل الليثي / د. يحيى الجبوري / بيروت / د. ت .
٣٦. الصحاح ، تاج اللغة وصحاح العربية / إسماعيل بن حماد الجوهري / تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار / ط٤ / بيروت / ١٩٨٧ م .
٣٧. صحافة العراق / رفائيل بطي / إعداد : سامي رفائيل بطي / بغداد / ١٩٨٥ م .
٣٨. الصحافة العراقية واتجاهاتها السياسية والاجتماعية والثقافية من ١٨٦٩ – ١٩٢١ م / منير بكر التكريتي / بغداد / ١٩٦٩ م .
٣٩. صحيح مسلم / أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري (٢٦١ هـ) / دار إحياء التراث العربي / بيروت / ٢٠٠٠ م .
٤٠. طبقات الشعراء / ابن المعتز / تحقيق : عبد الستار أحمد فراج / ط٣ / القاهرة / ١٩٧٦ م .
٤١. الطليعة من شعراء الشيعة / الشيخ محمد السماوي / بيروت / ٢٠٠١ م .
٤٢. فصل المقال في شرح كتاب الأمثال / أبو عبيد البكري / تحقيق د. إحسان عباس و د. عبد المجيد عابدين / بيروت / ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م .
٤٣. في نقد النثر وأساليبه / إعداد وترجمة : د. عصام الخطيب ود. توفيق عزيز عبد الله / بغداد / ١٩٦٨ م .
٤٤. القاموس المحيط والقابوس الوسيط / القاضي مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي / دار العلم للجميع / بيروت / لبنان / د . ت .
٤٥. قس بن ساعدة الإيادي ؛ حياته ، خطبه ، شعره / د. أحمد الربيعي / النجف / ١٩٧٤ م .
٤٦. الكافي ، الأصول / ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني (٣٢٩ هـ) / تحقيق : علي أكبر الغفاري / ط٣ / طهران / ١٣٨٨ هـ .
٤٧. الكراسة البهية في أحوال وأنساب السادة آل طعمة العلوية / بقلم محمد هادي محمد سعيد محمد حسن آل طعمة / مطبوعة بالرونيو / ١٩٩٠ م .
٤٨. كربلاء في ثورة العشرين / سلمان هادي آل طعمة / بيروت / ٢٠٠٠ م .
٤٩. كشاف الجرائد والمجلات العراقية / زاهدة إبراهيم / مراجعة عبد الحميد العلوجي / بغداد / ١٩٧٦ م .

٥٠. لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث / د. علي الوردي / ج٣ / بغداد / ١٩٧٢ م .
٥١. المجلس التأسيسي العراقي / د. محمد مظفر الأدهمي / بغداد / ١٩٨٩ م .
٥٢. محمد حسن أبي المحاسن ، دراسة في حياته واتجاه شعره السياسي / نوري كامل محمد حسن / بيروت / ٢٠٠٠ م وألحق بالدراسة ديوان أبي المحاسن الكربلائي .
٥٣. المدخل في تاريخ الأدب العربي / محمد بهجة الأثري / بغداد / ١٩٣٨ م .
٥٤. معارف الرجال في تراجم العلماء والأدباء / محمد حرز الدين / النجف / ١٩٦٤ م .
٥٥. المعجم التركي العربي / عبد اللطيف بندر اوغلو ود. إبراهيم الداقوقي / بيروت / ١٩٨٢ م .
٥٦. معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام / محمد هادي الأميني / النجف / ١٩٦٤ م .
٥٧. معجم الشعراء العراقيين المتوفين في العصر الحديث ولهم ديوان مطبوع / جعفر صادق حمودي التميمي / ط١ / بغداد / ١٩٩١ م .
٥٨. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها / د. أحمد مطلوب / ج٢ / بغداد / ١٩٨٦ م .
٥٩. المعمرون والوصايا / أبو حاتم السجستاني / تحقيق عبد المنعم عامر / القاهرة / ١٩٦١ م .
٦٠. مكارم الأخلاق / أبو نصر الحسن بن الفضل الطبرسي / قدم له السيد : محمد مهدي السيد حسن الخرسان / النجف / ١٩٧١ م .
٦١. موسوعة أعلام العراق في القرن العشرين / حميد المطبعي / بغداد / ١٩٩٥ م .
٦٢. موسوعة التاريخ الحديث / الان بالمر / ترجمة : فيصل سوسن السامر / ود. يوسف محمد أمين / ط١ / بغداد / ١٩٩٢ م .
٦٣. الموسوعة الصحفية العراقية / فائق بطي / بغداد / ١٠٧٦ م .
٦٤. النثر الفني في القرن الرابع / د. زكي مبارك / بيروت / ١٩٧٥ م .
٦٥. النخبة من أدباء كربلاء / نور الدين الشاهرودي / ط١ / طهران / ٢٠٠٥ م .
٦٦. نهج البلاغة / جمعه الشريف الرضي من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) / ضبط نصه وابتكر فهارسه العلمية / د. صبحي الصالح / ط١ / بيروت / ١٩٦٧ م .
٦٧. نهضة العراق الأدبية في القرن التاسع عشر / محمد مهدي البصير / ط١ / بغداد / ١٩٤٦ م .
٦٨. الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية / علي آل بزركان / بغداد / ١٩٩١ م .
٦٩. يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر / أبو منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري / تحقيق : د. مفيد محمد قميحة / بيروت / ١٩٨٣ م .